اصدارات هيئة الفنون والآداب

ثلاثة أقنعـــة للحب

روايـــة

تأليف

فـــرات عبـــد الله

الاسكنــدرية
٢٠٠٧

من إصدارات
هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
بالإسكندرية

صورة الغلاف
مهداة
من الفنان ماهر جرجس

ثلاثة أقنعة للحب

فرات عبد الله

إن القاري الكريم الذي أحسن استقبال أعمالي له حـــق عليّ، ومن أجل هذا أبحث عن تفسير مناسب للشكل الجديـــد الذي التزمت به هنا ، وهو شكل مختلف عن الذي ســـارت عليه الروايتان السابقتان رواية : السقوط في دوائر الانتظار ، ورواية : لا

الرواية الجديدة تعتمد علي ما يـــسمونه باســـم روايـــة (الأصوات) أي التي تتبني علي وقائع ، والقارئ يراها مـــن خلال أصوات مختلفة ، وهكذا تتكرر الواقعة كما هي مـــن خلال أكثر من شخصية : هكذا فعل الأستاذ / نجيب محفوظ في روايته الجميلة : ميرامار، وكذلك الأستاذ/ فتحي غـــانم الذي كتب واحدة من أجمل الروايات الحديثة : الرجل الذي فقد ظله ، في أربعة أجزاء .

إن قراءة هذا النوع من الروايات متعة كبيـــرة ، ومـــن خلالها يقتنع الانسان بأن الحقيقة لها أكثر من وجه ، وهـــذا

يقع حتي في الحياة اليومية ، وفيها نجد الناس لهم وجهـات نظر مختلفة علي شئ واحد بسيط يحدث أمـامهم ، وربمـا يبني كل فرد رأيه بحسب هواه ، وهكذا نكون علي الـدوام في مواجهة الذاتية والموضوعية وما بينهما من تعارض منذ الأزل .

وأعترف بأنني قابلت صعوبة في تصميم روايتي هذه ، واضطررت لكتابتها عدة مرات ، كما حاولت أن أتخلص من التأثير المباشر لروايتي (ميرامار) و (الرجل الذي بـاع رأسه) ، وأخيرا استقر العمل علي الشكل الحالي ، والـذي يقدم ثلاثة أصوات أو بمعني أدق ثلاثة وجوه : هو ، وهى ، والمرأة الأخري ، أضيف اليهم طرف رابع هـو الـشاهد ، وتطلبت طبيعة التجربة أن تكتفي الرواية بهذا العدد المحدود من الشخصيات ، والشخـصيات الـثلاث الأولـي مـؤثره (إيجابية) أما الشخصية الرابعة فهي شخصية غيـر مـؤثرة (سلبية) أو هكذا يفترض أن تكون .

ولعل القارئ العزيز لاحظ بأنها المرة الأولي التي أقدم فيها تفسيرا لعمل من أعمالي ، ربما لأن مثل هذا النوع من

الروايات يحتاج من القارئ أن يتحلي بالصبر ، لأنه سوف يجد أن كل الأحداث أو الوقائع التي في الرواية من أولها إلي آخرها قد عرفها منذ البداية أو من الفصل الأول منها ، لكنه مع القراءة الهادئة سوف يجد أنه يقابل تفسيرات مختلفة لما حدث ، مع كل شخصية من شخصيات الرواية ، فالخلاف يأتي من التناول وليس من المواقف في حد ذاتها ، والأبطال الثلاثة يرتدي كل منهم قناعا في الحياة ، فهل سوف يخلعه حين يقف في مواجهة نفسه ، لكي يكون صريحا ويبحث عن الحقيقة ولا يراوغ أو يؤجل أو حتي يحاول أن يرفض الواقع أصلا ؟

ثم ماذا عن (الشاهد) : الصحفي الذي سجل معظم ما حدث ، فهل تسجيله موضوعي أو منحاز ؟ بل إن القارئ يمكن أن يسأل : من من هؤلاء فرض وجهة نظره علي الرواية أكثر من غيره ؟

والحقيقة إن في داخلي كلاما كثيرا ، وأسئلة لا أعرف كنهها ، لأني حين أفكر فيها أجدني ميالة لأن أعيد الكتابة مرة أخري ، وباستفاضة أكثر ، ربما لكي أعطي لكل

شخصية مزيدا من المساحة بحيث يقول رأيه في شيء من التفصيل ، وأحيانا أقول إن الاختصار أفضل ، وإني لابد وأن أحترم خيال القارئ لكي يقوم هو بهذه المهمة من خلال وعيه بالقراءة ، كما أن عدم الاستجابة للاسئلة التي تدور في نفسي هو نوع من الاجابة ..

أليس كذلك ؟

شكرا

من أوراق عارف أبو العيون
كاشف الأسرار



سأقول الحقيقة كاملة ، وسأكشف الأسرار عن كل شئ ، بحكم أن هذا من صميم عملي ، ولا يشغلني في الوقت الحاضر غيره ، أعطيه كل وقتي ، ولا أسمح لنفسي بأن أتخلي عنه مهما كانت الأسباب ... أعرف أنني قد أتعرض للخطر ، بل ربما للقتل والاغتيال ، أو علي الاقل – تلفيق تهمة أجد نفسي علي أثرها في السجون المظلمة .

وأعلم أن الموضوع صعب ، فهو محاط بالأسرار من كل ناحية ، وتتداخل فيه شخصيات بارزة في المجتمع ، فكيف أتسلل إلي أسرارهم وأصل إلي مكاتبهم وصالوناتهم بل وغرف نومهم، وأي خطر داهم يمكن أن يتعرض له من يغامر بنفسه في هذه المتاهة المليئة بالألغاز والحب والدم والمؤامرات ؟ لقد راهنت علي أن أكشف الحقيقة

كاملة ، فإما كسبت ، وإما انهار كل مشروعي في الشهرة والمال والنجاح .

أتخيّل نفسي – في حالة تحقيق حلمي – وقد أصبحت نجما من نجوم المجتمع ، أدخل قصور علية القوم وإذا بالأنظار ترقبني ، والهمسات تشير إليّ : إنه هو .. كاشف الأسرار ، احترسوا منه حتي لا يصل إلي كل الخبايا التي تسترونها عن العيون .. وأراهم وهم يجاملوني ويتمنون في الوقت نفسه موتي أو رحيلي عنهم علي الأقل ، وأرضي من حين لآخر بأن يغمروني بهداياهم الثمينة كي أسكت عنهم ، وربما أقبل وربما لا ..

فلأترك أحلامي الآن ، أنا لم أصل بعد إلا لتكنهات وفرضيات – أمامي صفحات كثيرة تحتاج إلي مراجعة لأنها مجرد خواطر وليست حقائق واضحة المعالم ، أنا حتي الآن مجرد صحفي مغمور يكتب اسمه في ذيل المقال ببنط صغير : عارف أبو العيون ، وأحيانا لا يكتب من أساسه ، أو يكتفون بحرفي ع.أ. تقليلا من قدري ، آه .. سيري الحاقدون والمستهينون بمكانتي قريبا أى مكانة سأصل اليها ، سيرتعدون أمام شهرتي

وجاهـي وثرائـي ، وربمـا سأصـبح أنـا رئيـسا للتحرير لجريدة عالم الأسرار التي أعمل بها ، بل سوف أصبح رئيسا لتحرير ما هو أكبر منها بل .. عـارفِ أبـو العـيون ، آه – علـيّ أن أعتـرف أمـام نفسي بأنه مجرد اسم مستعار صالح للشهرة ، لأن الاسم الأصلي : عايض لا أعرف من أين جاؤوا بـه إلـيّ ، أتذكر أن أبـي كـان وقتها عـاملا فـي بلد خليجي عندما ولدت ، وكان كفيله هناك يحمل اسم عايض فأسماني أبي علي اسمه في نوع من التودد ، لكن هذا لم يفده بشئ ، وبعدها بثلاثة شهور كان قد ألغي تعاقده ، ولم يرد له شيئا من المبالغ التي كانت لـه عنده ، وبقي طول عمره – إلي أن مات منذ سنتين - يلعن ليل نهاره اسم عـايض ومن جـاؤوا بـه ، دون أن يدري بأنـه الصق بـي وإلـي الان هذا الاسم الذي أصبح بغيضا إلـي نفسه ، وبغيضا إليّ كذلك ، لانه بالنسبة لي اسم بلا معني ، ولا يحمل لـي أي ذكـري ، كمـا أنـه يعرضـني أحيانا للسخرية : عايض ! وأخيرا اتخذت قراري بـأن أتخلـي عنه ، وبدأت أوقـع مـا أكتب بأسمي الجديد : عارف أبو العيون ! كثيرا ما أقول لنفسي

: اعقل يا عايـ .. يا عارف أبو العيون ، لا تلق بنفسك إلي التهلكة يا ... لكني كنت أعود في كل مرة إلي سابق عهدي ، لأكتب في هذا الموضوع الذي استولي علي عقلي وقلبي وقلمي . لماذا ؟ لا أعرف !

إن صديقي الوحيد رشوان ، بلدياتي من البلينا يحاول معي كثيرا لكي أنجو بنفسي ، وأكتب فيما يريدون لي أن أكتب ، وأبتعد عن المشاكل ، وأنا كثيرا ما أقول له : الحق معك يا ولد العم ، لكن الطبع غلاب وأجدني أعود للاهتمام بنفس هذا الموضوع الذي استغرق مني شهورا دون أن أتمّه ، وفيما يبدو أنه لن ينتهي أبدا .. بلدياتي رشوان فاجأني في آخر مرة عندما شوّح لي بذراعه وهو يصرخ فيّ : أقطع يدي إن كلمتك في هذا الأمر .. أنت عشقت هذه المرأة ولا سبيل إلي نجاتك من هذا العشق ، كل ما تفعله منذ شهور ليس لأن تصل إلي الحقيقة ، وإنما لأنك تعبدها طول الوقت ، وتريد أن تعرف كل شئ عنها ، وتبذل ما في وسعك لتحميها ، وتحاول أن تبعدهم عنها علي أمل أن تفوز بها .. يا عايض التفت لنفسك .. أنت

في الأرض وهي في السماء ، أنت مثل البنّاو الحاف وهي أحلي من التفاح !

قال رشوان كلاما كثيرا فاجأني : ألنا أحبها ؟ ليس بيني وبينها شئ علي الاطلاق ، وأعرف أي مسافاتَ تفصل بيننا ، ولكن أقوم بهذا بطبيعة عملي ، وشعوري بأنه موضوع قيّم يستحق الاهتمام ، وربما كنت كذلك أتطلع لأن أصبح صحفيا مشهورا ، وإنما أنا أحبها ؟

أنا – فقط – أشعر بأنها برينة وطيبة القلب ، وأحس بأنها آية من آيات الجمال بقامتها الممشوقة الرشيقة وشعرها البني الغزير الذي ينسكب علي كتفيها ، ووجهها المضيء جميل القسمات و .. يابووي !

أما حين أكلمها فإن شيئا ما بداخلي ينتفض مثل فرخ الحمام ، فهل اضطرابي لأنني أشعر بأنني أخدعها بعض الشئ ، إذ أحاول استدراجها لكي تكلمني عن نفسها ولو بشكل غير مباشر ، يعلم الله أنني أفعل هذا صونا لها ، وأنني لا أرتضي أن يمس أحد شعرة منها ، هي البريئة مثل طفلة في الثامنة ، الناضرة كالوردة البيضاء ،

وآه حينما ترمقني طويلا ، وهي تسألني عن سر كل هذه الاسئلة التي أوجهها لها ، أليست لك شغلانة أخري غيري ؟ وتربت علي كتفي بمودة وهي تهمس لي وعيناها الساجيتان مثل نجمتين : لا تفعل شيئا يجعلني أزعل منك يابو العيون السوووود .. وأفيق من ذهولي وأنا أتمتم : حاضر يا فندم ، إن شاء الله لن تزعلي مني أبداً .. أبداً ..

تعود فتهمس لي بصوتها الحاني الناعم النائم : خليّ بالك ! إن زعلي صعب جداً ، أنفاسها تلفح خدي وأنا أدوخ . صوت في داخلي يتمتم : معك حق يا رشوان يا ولد عمي

أنا غرقت والذي كان .. كان !

إن الصفحة التي أحرر فيها الآن تحمل هذا العنوان الرقيق : قلوب .. واضح أنها صفحة الحكايات العاطفية ، والرد علي مشكلات القراء وما أشبه ، كانت المسألة بالنسبة لي أكل عيش ، إلي أن ظهر موضوعها في الافق ، والذي أراهن علي أنه سيكون نقطة تحول في تاريخي ، أدخل منه إلي بوابة المجد والثراء و ... من يدري : الحب !

تعبت طويلا قبل أن أكتب موضوعي هذا الذي لم ينشر للآن ، عدّلته عدة مرات ، ومع ذلك أشعر بأنه لم ينضج بعد ، قسما عانيت الأمرّين قبل أن يصل إلي هذا الشكل الذي وصل اليه الآن ، هل أطلع صاحبي (رشوان) عليه ليقول لي رأيه فيه أم أنتظر ؟

اقرأ معي يا رشوان ما كتبت ، اقرأ ولا تكن قاسيا في حكمك ، لا تقل شيئا إلا بعد أن تنتهي تماما :

وغابت شمس يومي

إذا كان الكتاب يقرأ من عنوانة ، فإن جملة : وغابت شمس يومي ، تحمل معاني الرومانسية ، الكامنة في كل سطر ، وكأن الحروف تنساب مثل معزوفة من فم الجميلة ، البوح بالاسم لا يجوز ، وسيضعنا تحت طائلة القانون ، فصاحبته إنسانة لها مكانتها في المجتمع ، وتشغل منصبا مهما ، وحكايتها تتشابك مع أناس مشهورين ، يعرفهم كل من في البلد ، والحكاية لا تخلو من حب ملتهب ، ومشاعر تجعل القارئ يدهش من القلوب

وأسرارها ، ومن النفوس وما في بعضها من ملائكية ووداعة ، وما عند سواها من شراسة وشهوات وأطماع .

إن قصتنا تنقلنا إلي صميم الحياة الصحفية – وهذا مكمن الخطر – وكل الاعتبارات تدفع إلي الاكتفاء بالخطوط العريضة ، دون وضع النقاط علي الحروف ، لأن ما هو بين أيديكم يمس سير أشخاص يتابع الناس أخبارهم ، ولهم العديد من المعجبات والمعجبين ، علما بأنهم ليسوا من نجوم الفن كما قد يظن قارئي الكريم ، وإنما من حملة الاقلام المعروفين ...

الخطوة الأولي في هذا الموضوع الشائك جاءت من خلال ترددنا علي حفلات صفوة القوم وما يجري فيها من نميمة وهمسات وإشاعات ، وما تكشفة هذه اللقاءات المرفهة من كلمات المودة والقبلات والعناق ، بينما تنطوي النفوس علي الغدر والكراهية – إنها شئ بغيض عزيزي القارئ ، لكن مهمة الصحافة هي البحث عن المتاعب ، وما أكثرها في هذا الموضوع بشكل خاص ..

أول الشخصيات تلك المرأة التي تحدثنا عنها : ملاك يمشي علي الأرض ، لها جمال خلاب ، بملامح ملوكية لكن دون تكبرّ ، لها المهابة التي تجعل الجميع يتطلع اليها في إكبار ، وهي مع ذلك تتصرف في بساطة ، ولا تفارق الابتسامة الرقيقة شفتيها ، هي صحفية مرموقة ، لا أحد يعرف لماذا تحترف هذه المهنة التي تمارسها بأسلوب الهواة ، أي أنها لا تحرص علي أن يكون لها (حضور) ملحّ ، تكتب عندما تحب أن تكتب ، ولا تحاول أن (تستفيد) مما ينشر لها ، كما يفعل كثيرون ممن يوظفون أقلامهم لمكاسب مادية أو معنوية أو غيرها ، وبالتالي فإن كتاباتها تكون صادقة ، وأحيانا يغلب عليها الرومانسية والتأملات الهائمة في أعماق الروح ، ولها أسلوب يعبر عنها ، خال من التكلف ، لكن يكتنفه شئ من الغموض عندما تتعرض لذاتها ، لكأنها تريد أن تخفي ما يتعلق بها عن عيون الناس ، وإذا ما أشارت إليه فإنها تشير من وراء ستار، الكلام عنها يكشف عن أشياء كثيرة تمس حياتها ، لقد تأكدت من معلوماتي الخاصة أنها حاليا غير

متزوجة ، وهناك دلائل علي أنها كانت متزوجة يوما ما من رجل لا يستحقها ، لم يعرف كيف يحافظ عليها ، وفيما يبدو أنها لم تحزن كثيرا عليه – حسنا فعلت فإن مثيلاتها نادرات في الحياة ، وابتسامتها – وحدها – تساوي الدنيا وما فيها .. هي علي كل حال لا تقول عن نفسها أنها كانت مرتبطة ، وترد علي التساؤلات بابتسامة غامضة تفوق في سحرها ابتسامة الجيوكاندا .

إنها الشباب الدائم ! أقولها في مواجهة من يسأل كم عمرها ؟ سمعت ممثلة مخضرمة تقسم علي مسامع الشلة أنها تجاوزت الأربعين ، لم يصدقها أحد ، راحت تعاند ، وتحاول أن تسرد أكاذيب ، لكنني لاحظت أن الوجوه استقبلت كلامها بغير تصديق ، فالجميلة ذات الشباب الدائم تبدو – علي أكثر تقدير – في نحو الثلاثين ..

أحاول أن أسميها لكن أكتفي بصفة لها ، علما بأنها أجمل من كل الأسماء ، وأنها الحلم الذي تجسد من عالم الخيال إلي عالم الواقع ، والزهرة خالدة النضارة التي تضوع علي مدي الأيام

لا بأس من الرمز ...

فليكـــن اسمهــا (طيف)...
فإنهـا ليست مـن عالمـنا الأرضــى ، بـل مـن عـالم الاطياف و.. البقية في العدد المقبل إن شاء الله ..

الحلقة الثانية :

تحدثـنا فـي المقالـة السابقة عـن (طـيف) هـذه الفاتـنة الجمـيلة التـي خلـبت الألـباب ، والتـي يكثـر الهمـس حـولها هـذه الأيـام ، ولـو لا أنهـا شخـصية عامـة لقدمـنا تفـصيلات أكثـر عـنها ، لكـن مـتابعة سلـسلة مقالاتـنا سـوف تـساعد القـارئ علـي رسـم صـورة أوضـح لهـا ، ونعـود فـنؤكد أنهـا الطـيف الملائكـي الـذي لا نظـير لـه علـي وجـه الأرض ، والـذي يـشع نورانـية وصــفاء ونــضارة فـي كـل مكان..
يكفـي أن تـراها أمامـك لـتحس بتـيار كهربـي يمسّك ، بحيث تجد نفسك مسلوبا أمامها ، وتشعر أحيانا بـأن هذا الوجه الملائكي مثل وجوه الأطفال مـن فـرط رقتها وبـراءتها ، وبأن عينيها المتألقتين

تلمعان مثل نجمتين تفيضان بالنور والحب والحنان ..

وهي مشهورة في الأوساط الاجتماعية بطبيعتها التي تتصف بالخجل ، إلي حد أنه من المعتاد أن تبدو أمام الناس بوجه تكسوه حمرة جميلة مثل حمرة وجوه الفتيات الصغيرات ..

والآنسة طيف (أو بمعني أدق : السيدة طيف ، ولكنها كثيرا ما تقدم نفسها علي أنها لم تتزوج بعد) مشهورة بالأناقة ، ويرددون عنها بأن مشتراوتها من أشهر بوتيكات باريس ، وأن ما تنفقه علي هذه الثياب يتجاوز بكثير مما تتقاضاه من مرتب ، لولا أن لها إيراداً ثابتا من أملاكها التي ورثتها عن أبيها الراحل ، والذي كان من أهل الحظوة ، فضلا عن شركاته ومشروعاته المتنوعة، وربما تكون (طيف) قد عرفت تجارب عاطفية ، لكنها غير معروفة ، ومن الواضح علي كل حال أنها تتسم بالطيبة والسذاجة ، إلي حد أن بعض الناس يلجأ اليها لكي تعينه فتستجيب بلا تردد ، مهما كانت القصة التي يرويها ساذجة ، فيكفي أن صاحبها يظل يلح عليها ناسجا كمّا من

الحكايات غير القابلة للتصديق ، وإذا بها تمتلئ بالفكرة ، وتتحمس لها تحمس عنترة لليلي العامرية !

الحكايات كثيرة عن (الآنسة طيف) التي تلقبها زميلة لها – معروفة بكتاباتها اللاذعة .. بالموناليزا.. منها أنها ترتعب لحد الذعر لو أن كلبا أو قطة اقترب منها ، وأن بينها وبين السلالم المتحركة عداءً أبديا ، إلي حد أنها لم تكمل عليها مشواراً إلا بعد هلع واضطراب ولخمة ما بعدها لخمة ،وكثيرا ما تقع فلا تتم طريقها إلا بعد عناء .

الحكايات كثيرة ، كما قلنا ، أما قضية اليوم فإنها لا تقال إلا همسا ، ومن هنا كان تناولنا هذا أول محاولة تتطرق للإجابة علي السؤال الصعب ما الذي حدث بين الآنسة طيف وبين (المايسترو)؟

المايسترو ؟ قائد أوركستر الصحافة ، والشخصية المرموقة في المجتمع ، لقب لا يعرفه الكثيرون ، ولكنه لقب معروف علي كل حال ، لا علاقة له بالموسيقي ، وان كان يعشقها ، وكان كذلك لقب لاعب كرة مشهور ، أما صاحبنا فإنه

بالفعل يعشق الكرة ، بل ويمارسها كما يمارس رياضات كثيرة مثل الجري والسباحة ، حفاظا علي رشاقته .

يا لجمال شكله ! يكفي أن يهل في أي مكان ، لتتجه إليه العيون ! قامته المعتدلة ، وخطواته السريعة الحيوية ، وإنما الحلاوة كلها في وجهه الأسمر الذي يضيء بضوء سحري أخاذ ! لا توجد به سمة تميزه-لكنه ، كلة علي بعضه ، حلو وجذاب ، أما إذا تكلم ، فإن سلاسل الذهب تنساب ، له نبرة غريبة ، هي مزيج من الخشونة الذكورية والتخنث ! لا تسألني كيف فمن الصعب الحديث عن صوته ، إنه يبدأ خشنا فيسترعي السمع ، ثم يقول مداعبا ومفاخراً : " اسمعني ولا تنظر إليّ ، أو انظر إليّ ولا تسمعني ، أما الاثنان معا فلا .. " ثم يضحك في شهقة غريبة ، ويضرب بإصبعيه محدثا فرقعة طفيفة ، وبعدها يخفت الصوت ويتماجن حتي يحيله إلي همسات حميمية تتكسر فيها الكلمات ويتلاشي التسلسل ، ولا تبقي إلا هذه الجاذبية المسحورة التي تستولي علي لب السامع . والمايسترو علاوة علي مكانته

الصحفية المرموقة فإنه يكتب روايات تطبع في كتب ، ويؤلف قصصا تتلقفها السينما ، وتصنع منها أفلاما واسعة الانتشار ، وكل كتاباته عن المرأةِ حيث تجسدت براعته في تحليل نفسيتها وابتكارَ نماذج بعضها لا يشبه المرأة عندنا وإنما يشبه النساء الغربيات ، والكلام عنه أنه لا يتورع عن اقتباس أفكاره من الروايات والأفلام الغربية ، أما أكثر ما يشاع عنه فهو أنه يوقع النساء والعذاري في حبه لاحبا فيهن ، ولكن ليجد المواد التي يستمد منها أعماله ، والغريب أنهن – مثل الفراش – يسعين اليه دون مبالاة بأي شئ ... أنا نفسي مندهش من أنني كتبت عنه هذه الأوصاف ، علي الرغم مما أحمله له من مشاعر عدائية .. كأن قلمي الذي كتب السطور السابقة ليس قلمي ، كأنني أتمني في أعماق قلبي لو كان هو أنا ، لو كنت أنا هو ، إنما ....

قصر الكلام

قصر الكلام أنه محظوظ مع الناس ونجاحه مع النساء ، والنصيحة التلقائية التي تهمس بها المرأة

إلـي مـن تـذهـب إليه لعمـل أو غيـره : " إياك وترك نفسك لـه ، إنـه داهيـة " والنسـاء المجربات يطلقن عليه همسا : " راسبوتين " نسبة إلي ذلك الراهب الروسـي الـذي اسـتولي علـي ألـباب القيصر ونساء القصر ، بتأثير مـن إشـعاع عينيه ، وقدرته علي الإيقاع بالمرأة مهما كانت حريصـة .

وهكذا يصل الحديث إلي الآنسة (طيف) كما يسميها البعض ، أو الموناليـزا كمـا أطلقت عليها زميلـتها فـي الجـريدة مـدام س والتـي تحـرر بـاب المـرأة ، وتتميز بمسـاحة هائلـة مـن الفضول ، بل الـتطفل ، بـل الحـرص علـي الـتدخل فـي شـئون الآخرين حتي آخر قطرة .

دعـونا مـن مـدام س الآن فـربما خصـصـتها بمقالـة أخري قريبا – ولنرجع إلي الآنسة (طيف) والتـي تخصـصـت فـي الكـتابات الجـادة ، خاصـة عرض الكتب ، وإعداد التقارير عن القضـايا التي تهـم الـرأي العـام . يقـال إنهـا ممـتازة فـي تجمـيع المـادة وسلسلة المسائل ، وأنهـا قارئـة نـهمة ، وربمـا لـولا انطـواؤهـا لأصـبحت شخـصية شـهيرة ، كمـا يـرددون عنها حكايـات عن زوجها السابق ، الذي

ندمت علي الانفصال عنه علي الرغم من كل شئ ، ما علينا ..

هي الآن وحيدة ، في الشقة الفسيحة الفخمة التي تطل علي حديقة الحيوانات بالجيزة ، وبينها وبين جامعة القاهرة مسافة ضئيلة ، كما أنها علي مقربة من النيل ووسط البلد والزمالك والدقي وكل ما هو هام في القاهرة – ولكن لا ، لا تذهب بك الظنون يا قارئي العزيز فتظن أنها مطلوقة علي حل شعرها – العكس هو الصحيح ، لولا ؟

لولا ؟ هنا مربط الفرس ، فإن القصة الصغيرة التي تتردد الآن في الاوساط النسائية أنها أصبحت واحدة من ضحايا (المايسترو) ، وهذا لم يحدث بين يوم وليلة .

لقد بدأت الحكاية منذ فترة ، كانت تتردد عليه بحكم العمل ، فهو رئيس تحرير الجريدة الأسبوعية التي تحرر فيها بابا يحترمه المثقفون ، وعلي الرغم من أنها كانت في هذه الفترة مطلقة – أي حرة من كل قيد – إلا أن طبيعتها التقليدية دفعتها إلي تجنب الاتصال الزائد بأيّ من الرجال ، بما فيهم المايسترو

والمايسترو – منه لله – كان في هذا الوقت خارجا علي الفور من حكاية طويلة مع مطربة شابة من بلد شقيق ، وبدت كل الأمور عال العال ، لولا أن المطربة الجميلة كانت تتطلع للوصول ، واعتبرته مجرد وسيلة للصعود ، حتي ظهر من هو أكبر منه وأكثر خطورة علي كل المستويات (بما فيها الفن ...) وكان شرط هذه الشخصية عليها أن تبعد عن المايسترو، وهو من جانبه – رآي أنها ستخلق له مشاكل لا قبل له بها ، لذلك فضّل الانسحاب بدون خسائر ، وإن كانت بقيت في نفسه مرارة من الابتعاد المباغت عن تلك الفتاة التي أحكم خطة الاستيلاء عليها ، لولا .. لولا

أنه في اليوم التالي لليوم الذي هزم فيه بالضربة القاضية ، كان يجلس في مكتبه متأخرا عن المعتاد ، وبعد أن انصرف معظم المحررين ، هو نفسه كان يستعد للرحيل، دخلت عليه الآنسة (طيف) لاستشارته في موضوع العدد القادم الذي كان يحيّرها قليلا .

فـي هـذه المرة رفع المايسترو بصره ، متطلعا الـيها بعينـين مختلفتين ، وفيما يبدو أنها راقت له ، ولكـنه كـان متـرددا بعـض الـشئ ، لأنـهـا لـيـست الطـراز الـذي يـستهويه عادة ، إذ أنه يفضّل الأنثى المـشحونة بالأسـرار والقـصص والخـبايا ، أمـا الملائكـة فمـاذا يـصنع بهـم ؟ كمـا أنـه كـان حـديث عهد بهزيمته العاطفية الأخيرة ، مما جعله ينظر لجنس المرأة كله نظرة سوداء .

وعـندما كـرر النظـر إلـيها وجـد شـيئا مـا فـي داخله يتحرك ، أيقدم على مناوشتها أم لا ، والطبع غلاّب – كما تعرفون – وهكذا بدأت حكاية جديدة ، مشروع رواية فكيف ستتم فصولها ؟

هذا مـا سوف نعرفة في الموقف التالي إن شاء الله ..

الحلقة الثالثة

عرفنا من الحلقتين السابقتين بعض ملامح القصة العاطفية المثيرة التي تتردد في المجتمع ، والتي تـدور حـول الفاتـنة طـيف – تلـك البـريئة الـساذجة

التي وقعت في براثن هذا الكاتب المعروف ، والذي لا يريد منها ، في الحقيقة ، سوي أن يتخذها موضوعا لرواية أو قصة لفيلم ، ليس أكثر ، وهذا تصرف لا يليق ، فالحب أسمي من أن يتخذ وسيلة أو مصدرا للإلهام .

وفي تصورنا أنه بمجرد الالتقاء بها بدأ ينسج شباكه حولها ، خاصة وأنها تعمل تحت إمرته في نفس الصحيفة التي يرأس تحريرها فكان سهلا عليه أن يحقق مآربه الآثمة .. لعله بدأ بتليفون ناعم وهمسة ساحرة وسط حديث العمل ، ثم جاء اليوم الذي صرح لها فيه بأنه ربما يعد لها مفاجأة كبري إذ أن هناك احتمالا بأن يلتقي في المساء بشخصية أدبية عالمية من الصعب عليها أن تصل إليها ، ولم تلبث أن جاءته هي في الموعد ، وقد أعدت ماكياجها وملابسها وبرفانها بعناية ، وعلي الرغم من أنها فوجئت بما ذكره لها من اضطرار الشخصية العالمية الشهيرة للرحيل فجأة ، وقبل أن تلتقي به ، إلا أن الحميمية التي عاملها بها المايسترو بدأت تنسيها كل شئ . واحدة بعد واحدة ، خطوة تلو أخري، والنسيج يدور حولها، وهي

مستسلمة رغم نداء عقلها بعدم التسليم في سهولة....
التليفونات أصبحت زادها اليومي – توقظها في الصباحِ ، وتطبع في المساء علي خديها قبلة تصبحيَ علي خير ، ثم أصبحت قبلات الخدود علي الشفاة ، ثم أصبح الاحتضان الذي وعدها به احتضانا حقيقيا حارا ملتهبا ، سَقطت معه كل القيود ، وانهارت المتاريس وفاض النهر بكل اندفاعات الأنهار ..

من أين استقينا هذه المعلومات ؟ لا تندهش – عزيزي القارئ – فقد حصلنا عليها من أعوان خفيين عاهدناهم بعدم التصريح بأسمائهم خوفا علي ظروفهم المعيشية ، كما استقيناها من ناس مقربين من المايسترو كان قد باح لهم بتفاصيل خطة التنفيذ ، و .. و ..

والضحية البريئة التي خدرتها الكلمات البراقة استسلمتّ للخدر ، وبدا واضحا من طريقة ماكياجها وملابسها أنها تريد أن تبدو في (نيولوك) جديد ، لا علاقة له بالطابع الملائكي الرقيق الذي كانت عليه ، وبان عليها أنها تعيش في دوامة

النشوة ، بل أكاد أستعمل تعبير الغيبوبة ، فإنها كانت بيننا ولكن لم تكن ترانا أو تحس بنا .

وانتشرت الحكاية في الأوساط الأجتماعية الراقية انتشار النار في الهشيم ، وتوقع الجميع أن تكون بطلة موضوع الفيلم أو الرواية القادمة للمايسترو .

لكن الأحداث دارت علي نحو مختلف تماما — هذا ما سوف نعرفه في الحلقة التالية إن شاء الله ..

- العودة من الجحيم :

هذه هي الحلقة الأخيرة في قصة المؤامرة علي الملاك " طيف " ، لقد خرجت من المحنة ، ولكن بقيت بعض آثارها علي ملامحها ، وكاتب هذه السطور واثق من أنها سوف تجتاز الأزمة ، وكلنا معها ..

وقد عرفنا من الأحاديث السابقة كيف أن (المايسترو) المتخصص في الإيقاع بالنساء قد تمكن من إيهامها بحبه ، ولم يكن يرمي إلا لكي يجعلها موضوعا لرواية من رواياته الغرامية —

ما علينا .. لولا أن ربك شاء أن يكشف ألاعيبه ، ويوقعه في شر أعماله .

والصفحة الأخيرة من قصة الحب هذه تبدأ عندما لاحظ العاملون في الجريدة ، من موظفين ومحررين وسعاة وغيرهم أن المايسترو أصبح يستقبل كثيرا وجها نسائيا بالغ الحسن ، له ملامح جذابة يكسوها الغموض ولعلها أرملة شابة حديثة العهد بفقدان الزوج ، لأنها ترتدي السواد علي الدوام ، ولكن هذا لم يمنع أن تكون غاية في السحر والأناقة ، ولعل السواد أضاف إلي جسدها البض مزيداً من الإغراء .

لم تمض علي قصة الحب المشؤوم إلا فترة وجيزة حتي بدأ هذا الوجه الجديد يظهر في الأفق ، وفيما يبدو أن المايسترو وجد في هذا القادم مادة مثيرة يمكن أن يستثمرها علي نحو أفضل مما هو الحال مع طيف ! ، كأنه فضّل ان يودع الرومانسية بعد أن استنفدت أغراضها ، وأخذ منها كل الأفكار اللازمة لرواية جديدة ، يكتبها علي طريقة يوسف السباعي في (إني راحلة) و (بين الأطلال) .. أما مصدر الإلهام الجديد فهذه

الأرملة التي تنحدر من أصل تركي ، وصفوها بأنها تجسم الأنوثة الحيوانية الصارخة التي يهواها الرجال ، خاصة من كانوا علي شاكلة المايسترو ، ظهرت هذه الأنثي في حياته منذ شهر تقريبا ، كانت تأتي إلي المكتب في أزيائها السوداء ، التي تكشف من جمالها أكثر مما تخفي ، لم أعرف أسمها بعد ، لكنهم يقولون إنها كانت متزوجة (زواجا عرفيا) من رجل أعمال كبير في السن ، وكانت تعوّل علي ما سوف ترثه منه ، لكن النذل مات دون أن تتمكن من الحصول علي شئ من تركته العريضة .

النذل الجبان ... إهئ ، إهئ ..

علي كل حال ، لقد جاءت إلي المايسترو – لماذا هو علي وجه التحديد ؟ – لتحكي له حكايتها ، ربما يساعدها في أخذ حقها السليب ، ثم أخبرته عن إمكانياتها الفنية في الغناء والرقص والتمثيل ، وكان علي الرجل أن يختبر هذه الطاقات الفنية العظيمة ، فـ (اضطر) لأن يصحبها إلي الشقة الصغيرة التي أستأجرها لمثل هذه الحالات ، في أحد الشوارع الهادئة بالدقي ، قرب نادي الصيد .

لم تكن هناك مشكلة ما علي الإطلاق ، علي الإطلاق ، إلا مشكلة صغيرة تتمثل في (طيف) لولا ان طرفا آخر كان يلعب في الظلام : إنها زميلتها (س) التي نقلت إلي طيف أخبار الخيانة وأطلعتها علي بعض الأشياء المنشورة عن مغامرة المايسترو الجديدة في بعض صفحات النميمة ..

وهكذا سيطرت روح الانتقام الصبياني علي (طيف) فتربصت عشرات المرات للمايسترو وصديقته الجديدة ، حتي رأتهما وهما يصعدان معا إلي عش الملذات ، وغالبت ترددها فصعدت وراءهما ، وأعمتها الغيرة فأدارت المفتاح الذي معها ، ودخلت مندفعة ، لتواجه بالعشيقين معا ، حضنا في حضن ، وشفاها في شفاه وإذا كان العاشقان قد فوجئا إلا أن الصدمة الكبري كانت بالنسبة لها هي ، و ما لبثت أن هرولت كالمجنونة إلي حيث عربتها ، التي قادتها ، لا تعرف كيف ، عبر شوارع القاهرة المكتظة ، ثم إلي بيتها حيث اعتصمت هناك منذ أسبوع ، لا تخرج ولا تسمح لاحد بزيارتها (حتي كاتب هذه السطور حاول

ذلك دون جدوي ... ولكنه واثق من النجاح في النهاية ..) ولا ترد علي التليفونات أو الموبايل أو أي وسيلة أخري .

لقد استقبلت الصدمة بمشاعر الفتاة المراهقة ، وليست المرأة المجربة ، وفي الحقيقة لم تكن لها تجارب كافية تجعلها تعرف كيف تتصرف في مثل هذه المواقف ، وإن كان هذا بعيدا عن موضوعنا الآن ان قلوبنا معها وإن كان إعجابنا بالمايسترو لا ينقطع ، لكنه – علي كل حال – مطالب بأن يرأف بالقلوب البريئة وأن (يخف) علي الساذجات وقليلات الخبرة ، فإن حالة طيف (تقطع القلب) وليس هذا من نوع الوعظ أو غيره ، لكن من زاوية الإشفاق علي المرأة والتعاطف معها .

الخلاصة : صلوا من أجلها أما هو فـ : منه لله !

خاتمة لهذه السلسلة :

من يصدق أن رئيس التحرير رفض نشر هذه المقالات تحت شعار أنها تشكل أعتداء علي

الالتزام الصحفي (!) وتتناول أعراض الناس بدون دليل قطعي ، بل انه لم يتورع عن أن يؤشر عليها بأنها مكتوبة بطريقة غير صحفيه وغير دقيقة ، وبها أخطاء مهنية ، و.. و..ابن الفرطوسة! لماذا لم يَقل ببساطة أنه خائف من المايسترو لأنها تفضحه وتعري أساليبه الدنيئة ؟

أبعد كل ما فعلته من عدم التصريح بالأسماء يتهمني بالخروج علي الالتزام الصحفي ؟ ومن أين لي أن آتي بمادة مقالاتي إذا لم أتناول ما يقع في الواقع ، وعلي رؤوس الأشهاد ؟ إن المايسترو – يا خلق الله – لا يخاف من الفضيحة ، بل ربما سعد بها لأنها تجعل اسمه علي كل لسان ، أليس هو نفسه كاتب فضائح أم ماذا ؟

إنني أتحدي أي صحفي أن يكون قد كشف أبعاد قصة حقيقية كما كشفت أنا ، ولا أستطيع وصف رحلة العذاب التي عانيتها وأنا أتحري هنا وهناك بحثا عن الحقيقة ، والتزمت أن أقدمها في أسلوب قصصي بحيث لا يمس أحدا أو تجرح أيا من الشخصيات التي تناولتها

أنا يا ناس مثل الطبيب الذي يكشف الداء ، ويدوس علي موضع الألم ليتأكد ، وقد يأتى منه الألم الذي يؤدي للشفاء ، ويصب في فم المريض الدواء المر ليبرأ بعدها من علته   ألا يفهمون ؟
بقي أن أضيف ما يتردد الآن همسا من أن السيدة التي أسميناها : مدام س ، والتي تعمل صحفية في نفس الجريدة ، هي التي رسمت للجميلة طيف خطة مداهمة المايسترو ، ولم تكن تقصد من ذلك إلا تدمير العلاقة بين (طيف) وهذا الذي يلقبونه بالمايسترو ، وأما لماذا فعلت هذا الذي فعلت فلأنها – كما يقولون – علي صلة وثيقة بهذا الرجل زير النساء ، ولأنها خشيت من أن تنقلب العلاقة بينه وبين (طيف) إلي حالة الخصوصية فقررت أن تتآمر لتقضي علي الخطر الداهم !
منها لله !

المـــــايستــــــــرو

يـــــــاه !

لقد جاءت النهاية مبكرة أكثر مما ينبغي ، وانتهت – في سرعة خاطفة – قصة حبي الرومانسية التي ظننت لفترة أنها ستبقى طويلاً .

خطأ ، بدليل هذا الانهيار المفاجئ .. وأيضا ظننت أنها ستبقى في الخفاء ... خفاء ! ، أي خفاء ؟ لقد أطلعني صديقي العزيز سيد علام رئيس تحرير صحيفة العصر علي سلسلة مقالات كتبت بخط صحفي لا قيمة له، ومع ذلك فإن هذا الصحفي سجّل فيما كتب كثيرا من الوقائع الصحيحة ، ولا أعرف كيف استقاها ، ولا من ساعده في الحصول عليها ، ولما استفسرت عنه عرفت السر في هذه المقدرة علي الوصول

لأسرار ما حدث بيني وبين صاحبتنا التي أسماها : (طيف).. وقالوا لي إنه يهيم بها حبا !
(طيف)؟ أنا لا أحب هذه التسمية ، إننا في الأساس بشر من لحم ودم ، نقف علي أرض الواقع ولسنا مجرد أطياف روحانية هلامية مهما كانت رومانسية ، ومع هذا فما الذي يمنع أن أسميّها بهذا الاسم المقتضب وأن أسجل هنا ما حدث بيني وبينهما من وجهة نظري أنا وليس من وجهة هذا الصحفي المأفون، وأحمد الله أن الذي كتبه منع من النشر ، لأن ما ينشر عني ينبغي أن أكتبه أنا ، أو علي الأقل – بإذن مني أنا .. أما هذا الذي يسمي نفسه بـ : عارف أبو العيون ، و إنما هو الجاهل المأفون فله حساب عسير معي . إن بعض النساء يخفن – حقا – مني ، لكن يا للطف الجميلات معي !! أندهش – أحيانا – حين أستمع إلي التغني بشكلي ، شكلي ليس فيه شئ يستحق الذكر ، سوي أني وأنا الذي تجاوزت الخمسين لا أزال أتحرك بنفس طريقتي السريعة الواثقة ، وقامتي قامة فتي في العشرين ، وأظن أن الوجه كذلك يوحي بالنضج ، ولكن لا أثر فيه للتجاعيد

أو بصمات الزمن .. كل الأمور علي خير ما يرام ، لكن الحياة ليست نساء فقط ، فهناك ملابسات العمل والذي يستغرق مني كثيرا – إن إدارة صحيفةٍ في هذا الزمن كارثة من الكوارث ، علي الإنسانَ أن يحفظ شعرة معاوية من الانقطاع ، أن أحاول إرضاء كل الأطراف – يوووه ، لا أريد أن أتكلم في هذا الآن .

لأعد للمرأة ! المرأة لا تنفصل عندي عن العمل ، بل هي أساس (العمل) – إن النقاد المزعجين كثيرا ما يتهموني بأنني أقتبس أفلامي ورواياتي من الافلام والقصص الأجنبية – كلام فارغ ! ألا يعرف هؤلاء أن قصة (أوديب) كتبها عشرات الكتاب منذ عصر الإغريق للآن (طيف هي التي قالت لي ذلك ..) هل سرقوها جميعا من أول كاتب مسرحي تناولها أم أن كل تناول هو خلق جديد ؟ يا ليتهم يفهمون هذا ! أنا أستمد بالفعل بعض أفكاري من الغرب ، لكن أعيد التشكيل بحيث يكون العمل الذي أقدمة جديدا و مبتكراً ، ألجأ إلي حيلة أن أمزج الواقع بقراءاتي ومشاهداتي ، كيف ؟ سأقول لك :

إنني دائم البحث عن المرأة التي أتخذها موضوعا لعمل جديد ، بحسب الصورة الأولية التي أعدّها في ذاكرتي أو أستمدها من عمل مقتبس ، ثم أجعل للشخصية ذات نفس ملامح وطريقة حركة المرأة التي أتعرف عليها ، أليس هذا أبتكاراً .

كم من نساء قالوا لي إنهن البطلات الحقيقيات لفيلم كذا أو رواية كذا .. هذا صحيح ولو جزئيا لأن الباقي أستعيره من مخزون القراءة والمشاهدة وليس من الواقع .

بعض اللاتي عرفتهن سعدن بأنْ يكنّ مصدرا لإلهامي ، كثيرات قلن لمن حولهن إنهن البطلات الحقيقية لبعض أعمالي . ماذا خسرت أنا ؟ لا شئ .. ماذا كسبن ؟ لا أعرف ، ولكن ألا يكفي أني خلدتهن في أعمالي ؟

في البداية أعترف أني مخطئ مع (طيف) ، .. كان ينبغي أن أتعامل معها كالمعتاد ، بعيداً عن " شغل السيما " وغراميات عنتر وعبلة ..

لا أنا عنتر ..

... ولا هي عبلة

ألـم تكـن هـذه عادتـي ؟ أن أعبـر عـن إعجابـي بالجمـال ، لكـي أتطـرق للجـسد ، لكـي أنتهـي وبسرعة ، فليس لدي وقت للف والدوران وكتابة الرسائل علي طريقة بول وفرجيني ، والهمسات الحائرة بالساعات عبر التليفون ، وعزومات العشاء واللقاءات في حدائق الأورمان وهلم جرا .

مالي أنا وهذا الكلام الفارغ ، الذي لم يعد يناسب عصرنا – ما الذي يمكن أن يكون بين رجل وامرأة ، من غير فذلكة ؟

إنما الله يلعنك يا شيطان ! أقنعتني بأن طبيعتها الرومانسية لا ينفعها هذا الأسلوب المباشر ، لابد من " الحواديت " وكلام الأمور وما أدراك ، لا – لن تفلح معها طريقتك التي تلجا اليها في معظم الأحوال : فضلت سياسة الخطوة خطوة فماذا أنت صانع الآن يا بطل ؟ وكيف ستتخلص من هذا المطب الذي أوقعت نفسك فيه ؟

هذه واحدة ، والثانية مشكلة تغيظ ، فالست (طيف) هي اولاً وأخيراً زميلة عمل ، شغل يا سيد ، بيزنس يخضع لإدارة وناس حولكما يلاحظون كل صغيرة وكبيرة ، خصوصا هذه العقربة سعاد ،

التي لابد وأنها التقطت الخيط ، بل ليس بعيداً أن تكون قد أوحت لصاحبتنا بالذي فعلت ، وبعدين ؟
أنا لا طاقة عندي للحكايات ، وأستطيع بنفوذي أن أزيحها عن جريدتي بل وعن الصحافة كلها أن أردت ، لكن هذا ليس أسلوبي مع النساء ، حتي وإن أسأن التصرف .
ذات مرة أساء أحد المحررين الشبان السلوك معي ، تكلم علي أساس أنه موظف حكومة ، تركته حتي استوي ، ولعبتها علي المقاس مع أحد رجال الأعمال من أصدقائي ، وهمسة وراء همسة تم الاتفاق بينهما علي صفقة دعاية غير مباشرة نظير ثلاثين الف وعند التسليم كان هناك إذن نيابة وتسجيل بالصوت والصورة وانتهي بأن راح وراء الشمس .
لا – لن أعمل هذا مع (طيف) أقصى شئ أن أدبر لنقلها إلي جريدة أخري ، ربما كان هذا أفضل لها ولي ، المهم الآن – ماذا أصنع معها بعد هذه الحركة الغبية التي أقدمت عليها ، وفاجأتني مع هذه الأرملة الجوهرة (زُبَي) – ان اسمها يجعلني أتذكر روبي ، لكن الفارق ضخم

بينهما ، ان (ربي) تجسيد للأنثي الأنثي – ممتلئة الجسد فارهة القوام ، نهر من القشدة والعسل ، تقول انها (ارملة) بينما كل خلية فيها تنطق بالبهجةِ والسعادة ، ألف رحمة ونور علي روح المرحوم .. إنها تريد أن أساعدها لكي تشق طريقها في السينما،وماله ؟ كله بثمنه ، لم أفعل أكثر من أني أبديت لها إعجابي بحسنها الخارق ، قربتها مني ، وسبحت عيناي في مفاتنها التي كانت قريبة التناول ، لم تمانع في أي شئ ، أي شئ ، ولولا اندفاعة (طيف) العاطفية .. آه – ما علينا

لماذا تريد النساء أن تستولي علينا ؟ ألا يكفيهن أننا أصبحنا رهن إشارتهن طيلة الوقت ؟ هن المدللات الرقيقات ، وهن اللاتي يستولين علي كل ما ندخر ، وهن اللاتي يستمتعن بنا من كافة الوجوه ..

(طيف) – يا ليتني لم أندفع معها كل هذا الاندفاع ، إنما المشكلة أنني لم أكتشفها إلا في لحظة ضعف ، عندما تم الاستيلاء علي (شيري) من قبل أحد الـ (بيج بس) الكبار ، اسمه الضخم

يعلن : ممنوع الاقتراب أو التصوير ، أرادها في:
الف هنا وشفا ، كلمتك أوامر يا باشا – لو غيره
كنت ناطحت لكن ليس مع هذا – شيري هذه بنت
حكاية ، إنسانة مخلوقة لأن تعامل كجارية ، مجرد
حيوان جميل ، ولكن جمالها ينطق الحجر !
راحت ، وفي لحظة ضياعها منك – في لحظة
انكسارك وإحساسك بالقهر والهزيمة جاءتك
(طيف) برجليها .

لم تكن أول مرة تراها ، لكنها كانت أول مرة
تضعها في دائرة الاهتمام ، نظرت إليها بعيني
جلف بدوي يحدّق في اللحم الأنثوي ، فحصتها
ساعتها من فوق لتحت وأنت مندهش من نفسك ،
وكأنك تتساءل داخلك : (كيف لم أرها قبلا – إنها
" مش بطالة " لكنها تحتاج إلي تأهيل؟فهي ولا
شك خام ، كيف تكون قد تزوجت قبلا ، وهي
تحرك رجليها كأنها فتاة لا تزال في السادسة
عشرة ؟) كانت ملابسها جميلة ، ولكنها تلبس
بوقار أكثر مما ينبغي ، وقل علي الماكياج نفس
الشئ ، أما المأساة ففي تسريحة شعرها ، إن
شعرها غاية في الجمال ، ولكنها عادة ما تضمه

وتعقصه فوق رأسها ، وقليلا ما تترك تلك الضفيرة تتدلى وراء ظهرها ، أقول لها في سري : لماذا لا تتركيه يموج وراءك بالحيوية والمرح والجمال ، ينسدل متراقصا مع خطواتك ، مداعبا للنسيم ، إني أحب الشعر المتلون الناعم الذي يظل " علي الخدود يهفهف " كما يقول عبد الحليم حافظ ، فمتي تعطي لشعرها حريته، وتطلق يديه؟

إن الصحفية مثل النجمة السينمائية تحتاج إلي إظهار مواهبها الأنثوية أحيانا ، وإلا فلتقعد في بيتها ! وعليها أن تكون علي الدوام (ستار) تلفت إليها الأنظار أينما حلت ، وتجعل الرجال – كبار الرجال – يبوحون لها بأسرارهم دون أن يشعروا ، والمهم أن تتمكن من أن تأخذ منهم كل ما تريد ..

.... كل ما تريـ.......... د !

أنا نفسي قمت معها بدور الصحفي الشاطر ، فحينما أخذت منها مشروع التحقيق الصحفي الذي تريد إنجازه القيت عليه نظرة حيادية ، لم يبد عليك هل أنت راض أم لا بما قدّمت ، عدت لتقلب فيه من جديد ، ثم ضربت بإصبعيك ، محدثا تلك الفرقعة التقليدية عندك ، وقلت لها بغموض وجدّية

انك ستعيد قراءته مرة ثانية ، ولا بأس بأن يكون بينكما تليفون علي الساعة الثانية عشرة متي ؟
الثانية عشرة ؟ ليلا ؟
هكذا استفسرت بسذاجة ما بعدها سذاجة !
- ليلا ، وهل سيكون الحديث بيننا الثانية عشرة نهاراً ؟
طبعاً ليلاً
هكذا أجبت أنت ، وأنت تضحك ضحكتك ذات الشهقة الماجنة ، التي تهواها النساء ..
آه !
لماذا الثانية عشرة ليلاً ؟
هل لهذا علاقة بليلة رأس السنة ، وإطفاء الأنوار ، والقبلات التي من المفترض أن تكون (بريئة) ولكن لا شئ برىء عندك ، فكل ما في العالم يقود إلي الجسد ، بما فيه من رعونة وحميمية واندفاع
أتراك تستغل ما في الليل من شاعرية ، وما يثيره الظلام من رهبة في قلب المرأة ، فيجعلها أكثر ضعفا ، وأشد حاجة إلي الأمان ، وهل لها من أمان إلا في حضن الرجل ؟
ماذا كنت تريد منها ؟

وهل أنت راض بالنتيجة ؟
بل السؤال الأهم هو : وهل هي راضية بالنتيجة ؟
لقد انتهي الذي بينكما إلي الخصام ، وتدمير كل ما كان ...
فماذا استفادت سوي القطيعة والعودة الي الوحدة ، وأيضا الحسرة والدموع وكل حكايات أبي فوق الشجرة ونواح فريد الاطرش ، حقيقة لو أنا منها ما فعلت ذلك ، ولحسبتها أولا ، فهل الأفضل أن أعمل بمبدأ إما أن آخذ كله أو أخسر كله ، وإما القبول بالأمر الواقع ، والأمور في النهاية تقارب بعضها ؟
ربما كنت أقيس في هذا علي زوجتي ، زوجتي التي لا مثيل لها بالفعل ، لأنها الملاك الذي يمشي علي الأرض ، ربما كانت ملاكا ممتلئا نسبياً ، من الواضح أن آثار الزمن تبدو علي ملامحها ، خاصة في أوقات الزعل والعكننة – أرجح أنها لا تعلم بمدي إعجابي بها ، إنها شخصية فذة ، تفرغ طاقتها في الورع والتقوي وأعمال البر والخير ، تحرص علي أن يكون البيت جاهزاً من مجاميعه ، وأن يكون آية في

البهاء – أتحدي ببيتي أي واحد دخلت عنده ، حتي كبار أثرياء البلد ، إن الشقة ليست قصراً بطبيعة الحال ولا فيللا متعددة الطوابق ولكنها شقة " سنجة عشرة " من حيث الذوق والنظافة والجو الشاعري بأضوائه الخافتة وستائره وموبيلياته وسجاجيده ، ثروة عمري في هذا البيت ، ومن حسن الحظ أن زوجتي لا تعير أذنا لما يردده الحاقدون والأغبياء والاعداء ، حتي عندما قال أمامها هذا الشاعر العجوز السكيرّ مدكور سليمان بأن لي جارسونيرة في مصر الجديدة ، اعتبرت أن الكلام نكتة بايخة يقولها إنسان يهذى .

الم اقل لكم إنها امرأة رائعة ؟ انا - يعلم الله – أكنّ لها تقديرا بلا حدود ، لكن الشغل شغل ، وأنا أفهمها وهي تفهمني ، ولعل هذا التوازن ناتج عن الشعور المتبادل بيننا ، فالمرأة عندي مخلوق له كل الاحترام ، لكنه – علي كلّ – مخلوق مختلف عن الرجل ، والغريزة عندها تحكمها إما المصلحة وإما المشاعر ، أما في حالة زوجتي فإن قيمة أخري هي التي تحكمها هي قيمة الأصول ، فمع كل شئ يمر بها أجدها تفتش عن المسلك

الصحيح الذي ينبغي أن تسلكه ، والمدهش فيها أن هذا السلوك لا يخضع في كل حالة لما يكون في فائدتها ، بل علي العكس ، فما أكثر الحالات التي تسلك فيها الاتجاه المضاد ، لماذا يا ست ؟ لأن بنت الأصول لابد وأن تفعل كذا وكذا ، ألم أقل إن المرأة تركيبة خاصة ؟ إنني حائر مع هذه الـ (طيف) التي طلعت لي علي آخر الزمن ، ماذا أفعل بها الآن ؟

هذا هو السؤال كما يقول عمنا شكسبير ... ضاع شقاي ورسم الليالي علي الفاضي ، معها لبست ثوب العاشق المحروم الذي لا يعرف النوم طريقه لجفونه بسبب الضني واللوعة ، أوشكت أن أكتب لها قصائد عشق حارة (فكرت في أن أقتبسها من شعر نزار قباني لولا خوفي من أن تكتشف ذلك فأضيع بلا مقابل ..) ألم أتعب وأتذلل لها وأخطب ودها ؟ ما الذي يمنع أن تفعل هي الآن نفس الشئ ، تجيء وتقول لي حقك عليّ ، ولن أفعل هذا ثانية ، وسأنظر في المسألة بعين جديدة.أتذكر الآن ملامح خطة الاستدراج .. أسلوب درجات السلم كما أسميه مع أمثالها : ألا يكون هناك قفز ،

بشرط أن يكون هناك جديد علي الدوام ، بدأت بالشغل ، والحاجة إلي مواد جديدة تكون فيها إثارة : شخصيات عالمية – الكشف عن فنانين لهم قيمة لا يعرف أحد عنهم شيئا قلت لها إن علينا أن نستعير شيئا من إيقاع الرواية البوليسية السريع اللاهث حتي يقبل القارئ علينا.إننا يا حبيبتي لا نكتب لمتخصصين ، أنحني عليها كأنني أهمس لها بسر خطير ، وفمي يلمس أذنها وطرف عنقها ، أصابعي تدور علي الخد من الجهة الأخري ، وأتمتم لها بأني أريد أن أجعلها أشهر كاتبة صحفية في مصر ، يسخن وجهها ويشتعل توهجا وإثارة ، آخذ يدها فأعتصرها ، وأحك كفها بأظافري فتكاد ترتمي في أحضاني ، كم مرة أخذتها في تلك العلب الليلية الغامضة بأضوائها الخافتة ، ودخانها الملون ، وجو الحرية المتاحة أكثر من غيرها ، ولم أكن أفعل معها في هذه المرحلة سوي أن أغوص بأصابعي في خصلات شعرها الكثيف ، ثم تتطرق أصابعي إلي كتفيها ، وأفعل فيها أناعيلي التي أجيدها ، حتي أحس بها

تترنح من النشوة ، وصدرها يعلو ويهبط ونظراتها تائهة حائرة .

عندما طابت واستوت أخذتها عند مدام كامي ، كاميليا الاسم الاصلي ، والله أعلم بحقائق الأمور – مدام ؟ نعم ، فهناك دائما هذا الزوج الرفيع السّارح في مسألة ما ، والذي يمشي بكتفه ، كنت أقول لمن حولي : لابد وانه يعاني من (حَوَل) لانه يسير بالجنب وليس للأمام كما يمشي خلق الله ، لكن الرجل كان يكتفي بابتسامته الشاحبة ، وشكله المشغول بأي شئ ، المهم أنه مشغول والسلام . أشعر بأن كل ما فيه شاحب : وجهه الهزيل الممصوص ، وشعره الرمادي المنحدر علي قورته ، أصابع المتوترين ، وكلامه القليل الذي لا يعرف الإنسان أهو معك أم أنه يحلق بفكره في مكانٍ آخر ، كامي تقول إنه من أصل إجريجي ، يوناني يعني ؟ لكن كل ما في البطة غامض حتي لا أقول زائف .

البطة ؟ آه ما أحلاها ، جسدها ممتلئ بغير سمنة ، أبيض مثل القشدة ، عليها دلائل الصحة والتدفق والدلع ، شقتها (روف) في أعلي عمارة

بوسط البلد ، بها عدد لا بأس به من الغرف ، أما المساحة الأكبر فأشبه بحديقة علوية رسمت أركانها بذوق رفيع ، وكامي تدعو عندها من تريد ، والمفترض أن هذا مجانا لوجه الله ! أصدقاء (أنتيم) : رجال ونساء ، نخبة من المثقفين والفنانين وذوي المراكز ، بعض الواصلين ، يدور الهمس بأنهم كبار رجال أعمال ، الروف جاردن العريض ملىء بالاركان الهادئة ، التي لا يبدد هدوءها الا وصلة رقص من كامي أو من زائرة مجهولة الحيثية ترقص رقصا رديئا لا يعتمد الا علي إثارة الغرائزليس إلا، وهذا يتم بناء علي إلحاح الأصدقاء الذين معها ، كثيرا ما أصحب معي بعض زجاجات ويسكي تفتحها كامي ، وهي تعلن أنها " زعلانه أوى أوي " لأني أفعل هذا كل مرة ، وأنها حلفتني ألا أحضر شيئا بعد ذلك ، ومع هذا فإن في كلامها معني أنها تحلفني بألا أنسى الويسكى في المرات المقبلة .. وفي ظروف خاصة يمكن لاثنين أن يستريحا ساعة في غرفة النوم ، مجرد أن يستريحا – يا عيني – من التعب – هل هذا فيه شئ ؟ .. طبعا لا

، مـا دامت استراحِة بـريئة .. – هـي نفسها تغيب عنا أحيانا ، مع أحد الأنتيم ، وعلي مرآي ومسمع من الزوج جورجـي – هـل هـذا فيه شئ ؟ هذا هو المكـان الذي صحبت إليه (طيف)، بعد أن طابت واستوتَ ، هل هذا فيه شئ ؟

لكن مـن الـضروري القـول بـأن (طـيف) خيّبت ظنـي ، نعـم إنهـا أمـرأة جمـيلة بالمعنـي الكامـل ،جـسدها رشـيق ونــضر ، وتحــرص علــي ألا أغضب منها ، لكنها تضع فرامل علي مشاعرها وتـصرفاتها ، ليس لهذا من تفسير سوي شعورها الداخلي بـأن مـا تفعلـه خطيئة ، لا تـريد أن تعيش وتنتشي وتخـرج مـن قوقعتها ، أحس فـي أوقـات كثيرة بأنها ليست سعيدة بكونها امرأة ، وهل في الدنيا شئ أجمل من المرأة ؟

مـن جانبـي فـإن التجـربة استهوتني لأن أكتب عنها عملا رومانسيا ، آخذ الخطوط العريضة من حيـاتها ، والتقط التفصيلات التي تجسّم أمامي قلة الخبـرة والارتباك والميول الخيالية الجامحة ، إنها (حالة) جديدة علي ، فهل أستمر في اللعبة أم ...

في الوقت الذي كنت أردد فيه داخل نفسي : هل أستمر في اللعبة أم .. أم .. في هذا الوقت بالذات ظهرت تلك التي أسميها بـ (الأرملة الطروب) – على اسم أوبرا شهيرة ذكرتها لي(طيف) عندما تسربت إليها الأخبار متسائلة عن أخبارى مع أرملتي الطروب .. إنها النقيض من طيف ، المرأة المستمتعة بأنها امرأة ، التي تهل بفتنتها الأنثوية وكأنها تقول للناس : انظروا ، ألست جميلة ومثيرة ؟

لقد أعمت الغيرة العمياء نفس (طيف) فتربصت بي ، واقتحمت عليّ الجارسونيرة ، فماذا كانت النتيجة بالنسبة لها ؟

ما الذي تجنيه من القطيعة ؟ ذنبها علي جنبها !! كنت أعلمها لوجه الله ! لكنها تصر علي أن تبقى (خايبة) طول عمرها . لماذا لا تتعلم من سعاد زميلتها في المكتب ؟ إن سعاد متزوجة وهي سعيدة مع زوجها ، ولكنها لا تري بأسا في أن تأتي معي من حين لآخر عند كامي أو عندي

ياه علي الجبروت ! امرأة بحق وحقيق ، ما علينا ، بالمناسبة : سعاد أيضا تطلق علي

صاحبتنا اسم طيف لأنها تري فيها إنسانة لا تحيا علي أرض الواقع ، إن طيف قليلة البخت ، عرفت عن طريق سعاد أشياء كثيرة عنها وعن أسباب انفصالها عن زوجها ، وعن علاقاتها العاطفية العبيطة التي لا تقدم ولا تؤخر . هذه الآنسة (طيف) تحتاج إلي دهر من التدريب قبل أن تصبح الأنثي الـ (إيه وان) التي تعرف كيف تستميل الرجل في الوقت الذي تبدو فيه المسلوبة الإرادة ، المندفعة في طريق الحب دون سيطرة منها علي نفسها يا ليتها تتعلم من سعاد ما ينبغي أن تعلمه عن المرأة كما يحبها الرجل ... سعاد ؟ أيكون لها أصابع فيما جري ؟ أتكون هي التي استدرجت (طيف) لكي تتربص بي ويقع ما يقع ؟

يا لها من فكرة ...

ما المسألة ؟ إنني مرهق ولا أستطيع أن أصل إلي إجابة حاسمة في هذا الموضوع ، إنما السؤال الآن هو : لو كان الذي حدث من قطيعة معها بتدبير من سعاد فهل عليّ أن أعاقب هذه الـ سعاد العقاب الرادع ، أم أنها تستحق مكافأة علي اعتبار أنها وضعت حدا لمغامرة وصلت إلي نهايتها

الطبيعية ، ولو استمرت أكثر من هذا لأدخلتك في مشاكل لا قبل لك بها ؟

آه ، لعل أفضل شئ أفعله هو أن أتجاهل كل شئ ، وأتركهم يخبطون في بعض .. حتي ولو كان الذي حدث (انقلابا) فأنا لا أبالي بنتائجه و .. كفاية كده !

سعـــــــاد



أكاد أنفجر من السعادة ، ومن الضحك :

لقد نجحت ،

وبضربة معلم ! أزحت هذه الـ (طيف) من طريقي ، وكان لابد وأن أنجح فأنا سعاد وإلا فلا ، وليس من المعقول أنها – هذه الساذجة مثل طفلة – تستولي عليه مني ، فأنا الوحيدة التي تستطيع أن تلعب بالمايسترو كيف شاءت ، وإن كان هو يظن أنه الذي يسخرني لشهواته . ويجعل مني كاتمة أسراره ، بحيث أعرف كل ما يحيط به من علاقات ، بما فيها علاقته بهذه التي تذرّعت بالبراءة ، واكتفت بمحاولة إيهامي بأنها مجرد معجبة بالمايسترو لأن اسمه على اسم حبيبها الغائب (هاني) وأنه لا توجد أسرار بينها وبينه من أي نوع أعليّ أنا يا طيف ؟ أنت صغيرة

وغريرة ، لقد عشت في ظله كل هذه السنوات ، أحببته : وأحبني ، تزوجت وارتبطت بالأولاد والبيت والزوج ، لكني الوحيدة التي لا يستطيع أن يستغني عنها ، مهما انغمس في علاقة هنا أو علاقة هناك .

إنني لا أنزعج عندما أراه يعرف عشرات النساء ، كلما كثرن ، كلما كان هذا مطمئنا لي ، والشئ الوحيد الذي أخافه عندما لا تكون في حياته إلا واحدة ، مثلما كان عليه الحال مؤخرا ، ولم تكن هذه الواحدة إلا (طيف) ، فهل من المعقول أن تخطفه ، هذه " المبتدئة " مني ؟

لا – مستحيل ...

فأنا رأيتها منذ تم تعيينها في جريدتنا : لتصعد أسهمها بسرعة البرق ، وتبدأ في لفت الانظار إليها ، ولم أستشعر الخطر تجاهها إلا عندما اقتحمت عالم المايسترو الخاص – عندئذ وجب التدخل ، وأحكمت خطتي بحيث جعلتها تحفر قبرها بنفسها ، وتدمر العلاقة التي بينه وبينها ، وأنا همزة الوصل بينهما ، أعرف منه أدق تفصيلات علاقاته ، وأستدرجها لتتحرك وفقا

لخطتي ، بحيث أجعلها هي بنفسها التي تكتشف خياناته ، وتداهمه في الجارسونيرة تحت سمعي وبصري .

أجمل ما في خطتي أنني لم أطلعه هو علي شئ ، تركته علي عماه ولم أشر مجرد إشارة إلي أنني سوف أقوم – وفي الوقت المناسب – بتدمير كل شئ بينه وبين هذه الـ (طيف) التي كانت في جرة وطلعت برة ، والتي عاشت إلي وقت قريب آية في البراءة والاستقامة – من البيت للجريدة ومن الجريدة للبيت إلي أن راقت في عيني المايسترو – خيبه الله ففيه طفاسة الرجال ونزواتهم الحمقاء التي لا تنتهي –

في فترة أصبح لها كل مدة " نيولوك " جديد ، وعرفت أن المايسترو يحب الشعر المسترسل ، فأصبحت تسريحاتها علي هواه وبدأ " الميك أب " ينضبط ، والبلوزات مفتوحة الصدر تظهر ، فهل في نيتها – بحسب الفتوي المتداولة الآن - أن تقوم بإرضاعه ؟ أم ماذا ؟

أذكر أنها – في مرة – سألتني سؤالا كاد أن يجعلني أنفجر من الضحك ، هكذا سبحت هي في

حالة من الذهول والتحديق في الفراغ ، ثم قالت لي بصوت خافت كأنها تهمس لنفسها : " هل تظنني يا سعاد أنه يريد أن يتزوجني " ؟ ثم لم يكفها هذا بل أضافت وهي لا تزال سابحة في أحلامها مثل المراهقات : " ماذا أقول له لو طلب يدي ؟ إنني لا أعرفه بالدرجة الكافية ، كما أنه أكبر مني سنا ، والمصيبة أنه متزوج ، أليس الأفضل أن أطلب منه أن يبتعد عني " ؟

يا حبيبتي ، يا توتي الصغيرة البريئة مثل الأطفال ، لا تحزني وغدا أشتري لك مصاصة أو آيس كريم ، أرجوك : لا ضرورة للبكاء ، ولا ترهقي ذهنك الصغير بالتفكير فسوف أتولى أنا المسألة كلها نيابة عنك ، هيا يا بيبي ، اذهبي لتلعبي مع عروستك الباربي ، واحلمي بابن الجيران الذي يساعدك في ركوب الدراجة ، وحاذري أن توسخي ثيابك حتي لا تغضب ماما منك وتحرمك من المصروف ...

حاجة تفلق ...

المهم أنني نسجت خطتي حتي اشتعلت في صدرها نيران الغيرة ، ورحت أوصل لها

المعلومات بطريقتي المستترة ، إلي أن جاءت اللحظة الحاسمة ، وكلمتها من تليفون في الشارع ، مغيرة من صوتي (هذه لعبتي ...) لأدفعها إلي الذهاب لجارسونيرة المايسترو ، ويكون ما يكون...

ليس ببعيد أنه سوف يستنتج أني وراء ما حدث ، من المرجح أنه سوف يغضب مني فترة من الزمن ، مدة أسبوع أو أسبوعين ثم يعود ، هكذا كان يفعل في كل مرة ، وعادة ما يعقب غضبه هذا عودة حميدة تجمعنا في نفس الجارسونيرة لتعود ريمة إلي عادتها القديمة .. أذكر الآن أول مرة : كنت في مكتبه أجلس علي (الفوتيه) المواجه له ، وفي وسط الحديث الدائر ، في صميم العمل ، نهض واقترب مني ليجلس بقربي ، نظراته تتفحصني وكأنه يقول لي : مش بطالة ! نظراتي تقول له : بس كده ؟ لكنه أجابني عمليا حينما نهض ببطء ، وخلع عنه الجاكت ، ومد يده لي وهو يهمس أن كفاية كلام العمل ، وأنه آن أن (ننبسط) قليلا ، همسته في أذني (عندك مانع ؟) تلقي عنها الإجابة بهمسة اسكندراني : (مانع ؟

أحييه ..) ولم تتجاوز المناورات أكثر من دقائق حتي كنا معا نفتش عن كيف (ننبسط) بكل الوسائل ، كل الوسائل بما فيها همسه في أذني ، مقلدا صوتي وأنا أقول له (مانع ؟ أحييه !) هكذا بدأت لقاءاتنا التي قامت علي الصراحة والإخلاص ، وكان من مبادئنا أن كل واحد حر في أن يفعل ما يشاء ، تكون له علاقاته التي أعرف كل تفصيلاتها ، تكون لي علاقاتي التي يشعر بها أو يكون شاهدا عليها ، ولم أجد منه أعتراضا بالمرة أو أدني رغبة في أن يقيد حريتي ، الشئ الوحيد الذي اتفقنا عليه هو أن نكون معا عندما يريد أى منا الآخر ، ومن حسن الحظ أننا حافظنا علي هذا العهد (المقدس ..) ، وكانت تكفي إشارة منه لكي أهرول اليه ، وأدوس علي أي ارتباط لي مع غيره وكذلك هو كان يشعر بي طيلة الوقت ، ويقف إلي جواري في كل المشاكل التي كانت تحدث بيني وبين زوجي أو بيني وبين بعض الرجال المتخلفين ، الذين كانوا يعتقدون بأن اللقاء الجسدي .. يعطيهم حقوقا عليّ ، ولا يسألون أنفسهم إن كان لي أنا عليهم نفس الحقوق ، بل ولا

يسألون أنفسهم لماذا الحقوق أصلا ، إذا كانت الحكاية مجرد نزوة أو فضول أو أي شئ ، يبدأ ثم ينتهي مثل نشوة الكأس أو أستطعام وجبة شهية ، ساعة وتنقضي فلماذا نعقد الأمور ؟
حالة (طَيف) الآن تقطع نياط القلوب ! ، أتمني أن أراها كي (أطبطب وأدلع) كما تقول نانسي عجرم ، آخذها في حضني وأمسح دموعها ، وأهمس لها في سرى (تعيشى وتاكلي غيرها يا حبيبتي) ، ولا بأس من أن أفكر لها في حبيب يصلح لها فإنني بطبيعتي – أتميز بالعطف والشفقة والطيبة ، فقط علي شرط أن تبعد عن المايسترو تماما ، ولا بأس في أن تقدم طلب نقل لأي جهة أخري ، المهم أن تطوي هذه الصفحة من حياتها ، ولا تفكر في الرجوع لها أبدا .
أبـــــــدا ....



طيفه

صممت علي ألا أقول شيئا بالمرة عن هذه العاصفة التي مرت بي ، لن أبوح لا للناس ، ولا أصحابي – إن كان لي أصحاب – ولا حتي لنفسي إن كان لي نفس ، لن أحاسبها أو أعاتبها ، أوبّخها ، أجرحها ، وإن كنت فكرت لحظة من الزمن في أن أقتلها لولا أنني لا أملك القدرة علي القتل ، أي قتل حتي قتل ذاتي .

أما ما أفعله الآن ، فهو أن أقوم بطقوس الدفن ، دفن ما مررت به من محنة ، لقد ماتت وحدها ، وقد كفنت جثتها غير المرئية ، وغسلتها وصليت عليها ، والآن أواريها في أعمق أعماق ركن من قلبي ، أواريها بين حبات الفؤاد ، وألقي عليها مع أعواد العنبر والكافور رمال أيامي التي تبعثرت ، وحصي عمري الذي أحس أنه انطوي ، أبني علي رفاته قبرا صغيرا لا يراه غيري ، أصنع له

شاهداً من خيالاتي وأحلامي الموءودة ، وذكرياتي التي رفرفت بعيداً بعيدا ، مثل الطيور المهاجرة التي لا تكف عن الرحيل لا أعرف لماذا أفعل ذلك ؟ هل لأخفف عن نفسي أضطرابها ؟ ومتي كانت نفسي غير مضطربة ؟ إني وليدة المحن والآلام والشعور بالمهانة والضياع ، أنا الذيَ عشت وحدتي ، وحامت فيّ روحي طيور الحزن ، حتي وأنا وسط صخب الحياة ، وأنا أخوض في غمار الناس .

أما آن لي أن أخلع عني ثوب البراءة الذي أرتديه ليل نهار ، هل لي الآن وأنا أواجه نفسي أن أسمي الاشياء بأسمائها فأقول ثوب السذاجة – ثوب العبط .. ، لا أريد أن أجرح نفسي وأنا في مواجهة معها ، يكفي ما فيها ، فقط أريد أن أفهم ...

أريد أن أفهم ...

أريد أ ..

تكمن المشكلة ، حقيقة ، في أني قليلة خبرة في التعامل مع " الرجل " ، كل رجل ، خصوصا " هو " فمنذ طفولتي وأنا أشعر بالمهابة أمامه ،

أخاف منه خوفا داخليا ، وأحس أنه سوف يؤذيني ويجرحني ، ومع ذلك فإني ، ومثل الفراش ، أحوم حوله وأنا أعرف أني سوف أحترق بناره ، وهكذا أعيش موزعة بين الرهبة والخضوع ، وتكون النتيجة هذا الانشطار والتأرجح ، لأني لا أنعم بطمأنينة الابتعاد ، ولا أسعد بمتعة الاقتراب ...
أفكر الآن فيمن عرفت من الرجال ، قبل هذا الذي – أخيراً – احتواني ، شربني وأكلني وامتصني ، خبزني وعجنني ، ثم ..

آه

انتظري قليلا قبل أن تصلي إليه ، فإنه المحطة الأخيرة لقطار الحرمان والضياع ، الضربة القاضية بتعبير الملاكمين ، قبل أن أقع علي أرض الحلبة مغمي عليّ ، وأخيلة الدم تسيل من كل خلية في جسمي ، والتفكك وإحساس السقوط وضباب الانهيار يخيم علي ذاكرتي التي غامت في دهاليزها الرؤي ، وتحلل الواقع الحي ليصبح مجرد ذرات غبار متناثرة علي الأرض الخشنة المدببة مثل المسامير السوداء .

تستعرضين يا نفس من عرفت من الرجال قبله ، يا للبؤس ! إن من عرفت على مدي عمري يمكن لبنت من بنات هذه الأيام أن تعرفهم في أسبوع بل ربما أقل .. هذا مأساوي بالنسبة لامرأة مثلي تتأهب لان تطوي مرحلة الشباب والمغامرة والاندفاع ، لتراجع أوراقها ، وتتدبر ما مر بها في طريق الحياة . من المؤكد أنني لا أتذكر الآن كل شئ ، ذلك ان الذي يستحق التذكر قليل جداً ، ولو أنني صدقت مع نفسي لقلت إنها مرة واحدة في حياتي : عرفت فيها الحب الملتهب العميق ، مرة واحدة ، وما بعدها كان كله مجرد ظلال وأصداء لها ، مرة واحدة – وأخيرة – هتف فيها الحب في أضلاعي ، فلما ضاع الهتاف رحت أجري هنا وهناك أبحث عنه عبثا ، لم أجد منه إلا الرمل والرماد وأنين الرياح الباردة وجليد السهد والدموع والسراب لا أحد يمكن أن يصدق ما أقول ، كيف يفهمون ما مر بي عندما كنت مجرد بنت صغيرة ، لم تعد طفلة ، ولم تصبح بعد فتاة – لن أقول سن المراهقة ، لأنني لم أعرف المراهقة كما يتكلمون عنها ، أنا فقط عرفته ، قابلته في اليوم

الذي – وفجأة – أحسست بدفئه يشرق في صدري كالشمس بإشعاعها ووهجها ونورها الساطع الفريد

ياه يا هاني ! لا يمكن أن تأتي إليّ هكذا لتدخل إلي قلبي ، أكان هذا فجأة كما أقول ، أم أن حبك كان يغزل خيوطة خيطا خيطا ، وينمو حرفا حرفا ، ليكتب ملحمة مليئة بالشوق والطمأنينة والأمل ، كنت أمامي – قبل أن تدخل في قلبي – طول الوقت ، إذ عشنا في حي واحد منذ طفولتنا الباكرة وإنما بقيت مجرد ابن جيران – مثل الآخرين ، إلي أن كان ما كان ..

ربما لا ، إذ أن شارعنا كان يقع في تلك المنطقة النائية في هذا الوقت ، بأطراف المعادي التي لم تكن قد دبت فيها الحياة كما هي الآن ، ثلاثة بيوت أو أربعة فقط هي التي كانت مسكونة ، أما البيوت الأخري فإنها كانت غير مأهولة بصورة دائمة ، وبذلك لم يكن أمامي إلا أنت وولد آخر نحيل أسمر شاحب اسمه يوسف ، لم يكن يحب الكلام ، وحتي لو أحبه فأنا لم أكن لأكلمه ، لأنه لم يكن جميل الصورة مثلك.ياه يا هاني علي

جمالـك ! عـودك النحـيل لا يكـف عـن الحـركة والجـري والـرقص ، تتسلق الـنخلة الـواقعة علـي مقربة من بيتي كأنك تطلع السلالم ، أحيانا تصرخ : نونا – هكذا كنت تسميني – اصطدت لك شيئا جميلا ، أجري إلي النافذة لافأجأ بك تمسك بثعبان أسود جاحظ العينين ، أصـابعك تشد علي مؤخرة رأسـه حتـي لا يلدغك ، أصرخ أنـا بـدوري فيك : خل بالك يـا هاني حتي لا يعضك ، تقول باستهانه : يعضني ؟ هه ! فليحاول ، ما رأيك في أن تشويه لـي ، عندكم طاسـة ؟ أصيح : هانـي ، لا تهزّج ، أرمـه عنك بعيدا حتـي لا يعضك فتهتف مداعبا : أتخافين عليّ ؟

- طبعا : الا تعرف ؟

كـم مـن مـرة كـنت تفـرض – سـاعتها – شروطك لكي تلقي بالحشرة بعيداً :

- قولـى بصوت عال أنك ستسمعين كلامى وتأتين معي في رحلات الصيد

أردد باستسلام : حاضـر يـا هانـي ، سـآتي معك ، أنت تعرف أني سآتي معك

- وستأكلين ثمار التين التي أقطفها حتي ولو كانت خضراء وضامرة

- هل هذا ضروري ؟

- نعم ضروري

أقول – سآكل ثمار التين ، وسآكل من البلح الذي معك ، وحتي الجوافة الصلبة ، ولكن لماذا لا تترك هذه الأشياء حتي تستوي ؟

تصيح فيّ ممثلا للغضب :

- هل تقبلين ما أقول أو أقضم رأس هذه الحية حتي تصب كل سمها في جوفي؟

أهتف في رعب : لا يا هاني أرجوك ، أرجوك .. سأفعل كل ما تريد ، فقط انزل الآن ، وأرحني من هذا الذي تفعله بي .

أحيانا كان يضيف مواقف أخري مثل أن يأخذ عليّ العهد بأن آكل معه أكلات تعتمد علي الدقيق لا نعرفها في بيتنا ، مثل العصيدة والمفروكة .. العصيدة ؟ يـ .... ع ، يغضب ويقول باعتداد :

- لا تقولي يـ.....ع ، ليس أحلي منها بالسمن والعسل ، كان لك عالمك الخاص ، الذي امتزج بحواسي ، وتسلل إلي دمي ولم يعد يفارق خيالي

مهما توالت الأيام ، وأحس به يخفق في صدري حتي ولو حاولت أن أتغافل عنه ، إنه رصيدي من هذه الدنيا ، وكل ما عداه هراء

فلماذا غبت عني ؟

أنت علمتني كل شئ ، أن أعيش وأن أحب غرست في روحي حب الحياة ، صحبتني معك وأنت تسبح ، وأنت تجري في السهول والهضاب وتتمرغ علي الرمال الساخنة ، وتطارد الحرباوات والبوم ، وتحاول أن تجعل الخفافيش ترتطم بالعصا التي معك

لن أقول كل الذي علمتني فأنت تعرفه ، فلماذا لم تكمل سبيلك معي وأنت تعرف أنني محتاجة اليك ؟

أتذكر ؟

كان بعض الأهل يبدي أعتراضا علي تعلقنا هذا المعلن ، لكن لم يستطع ، كم من مرة حاولت أن أعرف أخبارك من أي مصدر كان ! لكن ما توصلت إليه كان نزرا يسيراً ، أنت تعرف أبويك ، وما هما عليه من عزلة وصمت وشيخوخة ، أحياناً كنت أشعر بأن البيت أصبح مهجوراً من

ساكنيه بسبب نوافذه المغلقة ، والصمت الذي يسوده ، أختك غيداء كانت تكرهني ولا تتكلم معي ، مكتفية بنظرات الكراهية تصوبها لي كلما رأتني ، لماذا وأنا لم أفعل لها شيئاً ؟ أحياناً أقول لنفسي إنها كانت تعتبرني السبب في أن هاني لم يعد يلعب معها كما كان الحال قبل أن يعرفني ، ما ذنبي أنا ؟ وهكذا لم يكن أمامي إلا خادمتهم رضية ، وهذه كانت شبه بلهاء ، ولا أعرف كيف كانت تشتري لهم مطالبهم من السوق ، وعندما كنت أسألها عن هاني تكتفي بأن تقهقه في وجهي ، وتهذي بكلمات غير متزنة عن أنه ركب جملا إلي القمر ، ثم تستدير لي صائحة : أتريدين أنت تتزوجيه يا بنت ؟ ثم اكتملت مأساة البعاد ...
ففي ذات يوم ، وأنا علي غير عادتي أقترب من بيتكم ، شاهدت مرعوبة قفلا غليظا علي باب البيت الكبير ..

هرولت إلي دكان البقالة القابع في آخر الشارع ، أدرت الكلام حتي انتهي إلي التساؤل عن رضية التي لم أرها منذ أيام ، فقال لي عم شحاته صاحب الدكان باستنكار :

- ألأنت آخر من يعلم ؟ ألا تعرفين أن أصحاب البيت هجروه ، وسافروا جميعا إلي مرسي مطروح ، إن أصولهم من هناك ، من بدو أولاد علي وعشيرتهم اسمها العميرات ، ألم تلاحظي أنهم كانوا منعزلين عن الناس قليلا ؟ وأن أبنهم هاني كان مولعا طول النهار بالرمح في الصحراء وتسلق النخيل ؟

لقد رحلوا إلي الأبد ، والبيت معروض الآن للبيع ، ويا عالم !

آه !رضيت بالكلمات المضطربة التي كانت تقولها رضية لكن الزمن استكثرها عليّ ، هأنا وحدي، أحاول ألا أنظر طويلا إلي بيتك ، لأنني أتخيل أحياناً أن به أناسا يتحركون ، في مرات كنت أتوهم أنك أنت هناك ، تقفز علي السور أو تصعد النخلة العالية المنتصبة في حديقتكم ، ثم خفت علي نفسي فأصبحت أحاول أن أتلافي إدامة النظر للبيت المهجور ...

هكذا تواريت ولم تعد أبداً

أكثر ما آلمني أنك لم ترسل إليّ بأي كلمة ، (أم تكون قد أرسلت لكن أهلي أخفوا عني رسائلك ؟)

قلقت حتـي اعترانـي الذبـول ، وكـان الخـوف عليك يأكلنـي كل يـوم ، أتساءل : أتكـون بـلا مـال ولا مأوي ، أم أنك نسيتني وعرفت غيري في هذه البلاد البعِيدة التي يسمونها فرنسا ؟

آه ، يَـا ليـتك تعـرف أن الطفلـة الـضاحكة الطـروب تحـولت إلـيَ هـذه الـشاحبة الذاهلـة المنطوية علي نفسها ، لم يكن أمامي سوي القراءة ، لم أترك كتابا في بيتنا أو في بيوت الأهل إلا قـرأته ، أكثـر قـصة هـزت كيانـي قـصة بـول وفرجينـي للمنفلوطـي ، إلـي حد أنـي تـوحدت مـع الأحداث وجعلت من هانـي البطل بدلا من بول ، وارتديت أنـا ثياب فرجينـي ، مع اختلاف الزمان والمكـان ، أخـذت أمـرن حياتـي علـي أن أكـون وحدي ، خفت من الرجال وقسوتهم ، ووعودهم التي تطير في الهواء ، لم يفهم الشباب الذين كانوا يحاولـون التقـرب منى لمـاذا أنـا هكـذا ؟ سـمعتها بنفسي أننـي مريضة نفسياً وأننـي منطوية وأننـي في حاجة إلي علاج نفسي

فليكن

أنا راضية بي هكذا

من حسن الحظ أن خالا لي : " أبيه عزت " – والذي لم يكن أحد يقول اسمه إلا مردوفا بلقب : بيك – زارنا ، ولفت نظره اهتمامي الملحوظ بالقراءة فسألني عما إذا كنت أكتب ، لم أكن أطلع أحدا علي كتاباتي ، خاصة وأنها كانت في معظمها تدور حول هاني ، لكني لم أجرؤ علي مخالفة أمره لي بأن يقرأ شيئا مما كتبت .

أخذ أوراقي في الشرفة البحرية ، لا أنسي ساعة أن مسح زجاج نظارته بعناية ، وأشعل غليونه ، وكانت المرة الاولي التي أري فيها شيئا مثل هذا ، وظل يقرأ ويقرأ ، ويسجل من حين لأخر ملاحظات علي الأوراق ، وأخيراً استدعاني

لحظتها كانت ركبتاي تصطكان فزعا ، ولم أعرف هل سيضربني لأنني كتبت عن مشاعري تجاه هاني ، ولأني أبديت تمردي علي رتابة حياتي ، وتفكيري في الموت ، وأشياء كثيرة طفولية مليئة بالرومانسية والتأمل والكآبة ، لم أصدق نفسي عندما رأيته يضمني إليه برقة شديدة ، ويقول لأمي ان ابنتك موهوبة ، وأن لغتها سابقة

لسنها ، وأعلن أمام الجميع أنه سوف يرعي موهبتي حتي أشق طريقي في عالم الكتابة .
بالفعل ظل أبيه عزت يتصل بنا ، ويحدثني أنا خصيصاِ ، وعندما أنهيت الليسانس ، جاء بنفسه لتهنئتي ، أما المفاجأة الكبري فكانت عندما أبلغني تليفونيا أنه رشحّ اسمي للعمل في الصحافة ، وعليّ أن أتقدم بأوراقي في أسرع وقت ، وقد كان...
ثم جاء اليوم الذي كان عليّ أن أتزوج فيه ، فهكذا قررت أمي التي لا أقوي علي أن أخالف لها أمراً كان أبي قد رحل إلي السماء ولم يبق لي إلا هي ، وهي التي آزرتني وتحملتني وأخرجتني من جب الانهيار الذي كنت علي وشك أن أهوي فيه .
كيف أخالف إرادتها ؟
المأساة أنها لم تحسن الاختيار
لقد اختارت لي الرجل الطيب العاقل المقتدر الناضج في السن
كان يكبرني بعشرين عاما تقريبا ، تزوج ولم ينجب ، وشغله الشاغل أن يكون له أبناء يرثون ثروته الطائلة ، زوجته هي التي اختارتني

واوحت لأمي – وهي صديقة لها – أن أقبل علي أمل أن أنجب له .

لم يكن يهمني شئ ، أن يكون صغيراً أو كبيراً ، فقد اعتبرت أنها مهمة ، مجرد مهمة ، ولو كانت هناك آلات تصلح للإنجاب لاستغنوا بها عني !

مضت سنتان معه لم أحقق له حلم حياته وفي أعقاب هذه المدة دب الفتور بيننا ، وحتي زوجته أصبحت تنظر لي بلا مبالاة ، وأراها تتطلع في الوجوه التي حولنا لتختار له زوجة أخري أصلح للمهمة مني .علي كل حال ، لقد انتهت الأمور بيننا بتسوية خرجت منها بمبلغ كبير من المال ، وتمزق في الروح ، وإحساس بطعم الرماد في الفم ، لمت نفسي طويلا لأنني رضيت بهذا الموقف الذليل الذي انتهيت إليه ، ولازلت أشعر للآن بأنني لم أتزوج بعد ، لذا فإني عادة ما أعرّف نفسي بأنني الآنسة فلانة ، ومن الراجح أنني بقيت لفترة طويلة أضيق بالرجال وكيف يفكرون ، وربما كانت الأمور غير ما ظنوا فإننا – نحن

النساء – كثيراً ما نلقي الظلم علي أيديهم ، ولكن إلي متى ؟
لا !

عشت لسنوات وأنا متخلية عن فكرة الارتباط برجل ولكن الفضول كان يدفعني علي الرغم مني لأتطلع فيما يدور حولي ، وهكذا رضيت بأن يأتي إليّ هذا الصحفي الصعيدى : عارف أبو العيون ، والذى يعبرّ لي عن شعوره نحوي بطريقة في غاية السذاجة ، ومع هذا فإني كنت أحمل له تقديراً خاصا ، لأني كنت أرى فيه شهامة أشبه بشهامة (دون كيشوت) ، وفي مرات كان يضحكني بما يحكيه لي من حكايات ظريفة ، ويستهويني فيه أنه لا ييأس مني ، فهو العاشق الأزلي الذى يعرف أن العلاقة بيننا مستحيلة ، لكنه يتابع في اليوم التالي نفس تصرفاته بدون ملل ، كما أشعر بأنه علي استعداد لان يفعل كل شئ في سبيل حمايتى والدفاع عنى ، فكيف لا أحمل له إعزازاً ؟

كان هناك رجال غيره يحاولون الاقتراب مني ، لكن لم تكن لأىّ منهم قيمة حقيقية في حياتي ،

وكأن ذكرى حبيبى هاني كانت وحدها القادرة علي أن تحمينى من شر الجنة والناس .. إلي أن كان المايسترو .

آه !

أنا لا أعرف كيف غرّر بي واستدرجنى وجعلني أبدأ معه هذه الاندفاعة العاصفة في حياتي .

وفيما يبدو أننى كوّنت في أعماقي (جبهة دفاع) غامضة جعلت وظيفتها أن تبعدني عنه ، ولم تكن هناك مشكلات لفترة طويلة ، إلي أن حدث الذي حدث .

هكذا قدّر لي أن أقع في براثن هذا الاسم المهيب المخيف : المايسترو والذي كان اسمه الاول ، ويا للعجب : هاني ! ليس المايسترو مجرد رئيس تحرير يستمد مكانته من منصبه – لا ، إنه شئ يتسم بنوع من الجاذبية المخيفة ، أشبهه أحيانا بالكوبرا إذ تخدر ضحيتها بنظراتها التي تصيب من أمامها بالشلل ، فيعجز عن التحرك بعيداً عنها لتأتي هي إليه في برود وثبات ، فتنفث فيه سمها وتمتص منه الدماء قطرة بعد قطرة .

مـا مـن مـرة كـان علـيّ أن أقابلـه فيهـا الا وبذلـت المستحيل للـهرب من عينيه – هل كنت أهرب حقا أم أنـه الاستسلام البطـيء الذي ينتـهي بالاستسلام ؟ اعتاد – وبعد أن أستمع إلي اعترافاتى وكيف أنني كـنت أتقمـص شخـصية فرجينـي – أن ينادينـي بفرجينـي ، وكـان هذا يغيظني جداً ، خاصـة عندمـا كـان يقـولـها وهـو يبتـسم ابتـسامته الـباردة التـي لا أعـرف لـهـا تفسيراً : أهـو يكـرهنـي ويـستثقل دمـي ويـضيق بـي ، أم أنـه علي العكس – شديد الاهتمام بـي ، وأن هذا الذي لا أفهمه منه ليس ألا نوعا من المودة التـي يكنّهـا لـي ، لكن الظـروف لا تـسمح لـه بأن يقول أكثر .. ؟

أه :

هاني

إيها الساري بروحي وخيالي ودمي

هل ضباب أنت أم غيم سري

حيث يبنـي عـشه

في أضلعي ؟

حيث بدني

ماثل في منتهاي

إن هذا المايسترو الذي خدعت فيه ليس له من هاني سوي الاسم ، وأتصور أنه لا يحبني كما يقول بل يتخذني وسيلة للإلهام ، إذ وجد فيّ نموذج الرومانسية الحالمة ، وفيما يبدو أنه يريد أن يهجم علي قصة (بول وفرجيني) فيكتبها بشكل عصري ويتخذ مني صورة حديثة لفرجيني – لا يمكن أن يكون حبه لي صادقا ، لقد رأيته يقهقه عندما اكتشفت أن صحفياً من الصعيد – عارف أبو العيون – يهيم بي حبا ، ويسميني في مقالات له عني باسم (طيف) وهذه المقالات تم حجبها بعد أن عرف المايسترو بأمرها ، هو نفسه أصبح يطلق عليّ اسم طيف ،؟ علي سبيل التندر ، مع أني أحب هذا الأسم .

أن صديقات لي في النادي يشبهونه بإحسان عبد القدوس ، علي أساس أنه صحفي وقصاص ، ومع ذلك فإن روايات المايسترو أقل مستوي ، وأشعر بأنها ملفقة من عناصر غير متجانسة – أخاف أن أقول له رأيى هذا ، خاصة وأن بعض نقاد السينما والأدب يهاجمون أعماله بشراسة ويتهمونه بالسطحية والاقتباس .

عندما سألني عن رأيي فيه وفي أعماله اضطربت ، وأخيراً أسعفتني قراءاتي بأن قلت له إنه يشبه (يوسف) الصحفي ، بطل الجزء الرابع والأخير من رباعية فتحي غانم : الرجل الذي فقد ظله ، لم يرض عن قولي لأن يوسف في الرواية فيه انتهازية ومكر ، ومع ذلك غفرها لي ، وأنا بدوري قررت ألا أتكلم معه عن رواياته ، مكتفية بأنني أحبه هو .

كثيرا ما كنت أسأل نفسي :

لماذا أنا ضعيفة معه هكذا ؟

لماذا سرت مثل البلهاء ليحركها بال (ريموت كونترول) ، ينقلني كما يشاء ، يطلع بي أو ينزل ، يذهب بي إلي الخلف أو يدفع بي إلي الأمام ؟

أعترف اني أنجذبت إليه إنجذاب الفراشة للنور ، كنت كأني أقوم بمحاولة يائسة لأقلل من سيطرة (هاني) الأصلي ، - هاني الأول كما رحت أسميه – علي جوارحي ، لم أرد – علي الأرجح – أن أطفئ الشعلة الكامنة المتوهجة في أعماقي والتي تحيا من خلال ذكري هاني – كل ما في الأمر أنني كنت أريد أن أحدّ من سيطرتها عليّ ، هذه

السيطرة التي كثيراً ما شعرت بأنها علي وشك إن تدمرني .

هكذا رحت مثل المنوّمة ألتقي بالمايسترو – هاني الثاني كما كنت أسميه – أقبله علي علاته ، أندفع في هرولة لأحظي برضاه ، أسعى لأن أعرف كل شئ عنه : عالمه النسائي علي وجه الخصوص ، ولم أجد من يدلني في هذا الطريق سوي سعاد التي أصبحت (أنتيمي) – صديقتي المطّلعة علي بواطن أموري والتي لم أخف عليها أنني متيمة بالمايسترو ، كل الذي حجبته عنها ما يتعلق بأسراري معه ، فإنني بطبيعتي أكره أن أعرّي نفسي أمام الآخرين .

كانت هي – سعاد – التي أمدتني بكثير من أسرار المايسترو ، أهم ما باحت لي به أنه مفتون في الوقت الحالي بتلك الشقراء التي تقول عن نفسها إنها مطربة ، ولكن الحقيقة أن الذي يغني منها هو النهود والأرداف والأكتاف العارية ، والتأوهات الصارخة والإيحاءات الجنسية الفاضحة ، وليس هناك سوي هذا الصوت الذي

تهمس به شفتاها إلغليظتان الوارمتان مثل شفاه الزنوج ! ...

سعاد هي التي رسمت لي خطة أن أضع حدا لما يفعل ، فاما أن أتأكد من أنه لي وحدي ، وإما أن أعرفَ بأنه يخونني فأهجره إلي الأبد .

أحياناً أسأل نفسي : لماذا رسمت لي سعاد هذه الخطة التي انتهت بضبطي له متلبسا ، وانتهاء علاقتنا الخاصة تماما ؟

إنني أشعر أحياناً بأن (سعاد) هذه تغار مني ، علي الأقل في مجال العمل ، فمن المؤكد أنني أكثر حنكة منها في مهنة الصحافة ، وأيضاً في مهارات الكتابة بشكل عام ، فهل تكون – هذه الخبيثة – رسمت ما رسمت لكي تسوء علاقة العمل بيني وبين المايسترو ؟ أم أن في المسألة (إنّة) من نوع خاص ؟

هل اخطأت حين أطلعتها علي دخيلة نفسي ؟

إنني أرتاب فيها ، وأشعر بأن في العلاقة التي تربط بيننا خطأ ما ولكني لا أعرف أين يكمن الخلل ؟

أين يكمن الخلل ؟

هل أفادتنى المواجهة بشئ وتوصلت إلي حقيقة هذا المايسترو المراوغ ، الذي ما كان يصح له أن يستهين بعواطفي ، أم أنني كنت أجد في رحابه لونا من الإحساس الأنثوي الجميل الذي يعوضني عن وحدتي ؟

هل سعاد صديقة

أم

لا ؟

لا أعرف

لا أعرف

كل الذي أعرفه أني طيف سابح في هذا البحر العاصف الذي يحيط بي ، أشعر أنني أطفو بمعجزة إلهية ، لكن روحي غارقة في هذا الضباب الذي يحيط بي من كل جانب ، لماذا كل (الحقائق) التي تلفني تبدو وكأنها أوهام ، والشئ الراسخ بداخلي مجرد حلم يراودني بين الحين والحين ، ثم يتواري ولا تبقي منه إلا أنات الوجدان ...

لماذا ؟

منعطف أخير : -

لم يعد لي في الدنيا إلا البوح للورق والقلم ، ومن حسن حظي أن لدىّ الكثير الذي أحب أن أسرده ، لعله آخر أوراق تلك المرحلة الفائتة من عمري ، والتي تعتبر حاسمة في مسيرة حياتي ، لكني – علي كل حال – أزيحها عنى وكأني أزيح آثار غيبوبة مرّت بي ، دارت بي الأيام فيها حتى أفقدتني وعيى ، وصيرتني مجرد حطام امرأة ضائعة

نعم ! امرأة ضائعة

لا أريد أن ألوم ذاتي ، فيكفيها ما بها ، لا ضرورة لأن أطيل عذابي ، فتكفيني تلك الليالي الطويلة التي اعتصرتنى خلالها الأحزان والسهاد والتعب – التعب المادي ، والتعب الروحي .

شئ ما يجعلني استرجع ملحمة الكوميديا الإلهية التي عبرّ فيها دانتي عن محنته الذاتية وعن محنة الإنسانية جمعاء ، لأنني عشت في (الجحيم) طويلا ، إلي أن تطهرت وأنا أجتاز كل مراحل (المطهر) ، وها هي روائح (الفردوس) تهبّ علىّ لتعوضني عن ليالي الانكسار .

حمدا لله أن الزنزانة تشققت جدرانها ، وان الأفق الجديد يلوح أخضر مشمسا ، محمّلا بنسائم الخلاص ...

لقد تحررت

لقد تحررت

لقد تحررت

لا أجد ما يعبر عن فرحتي جين نجحت المساعي – وبمساعدة من خالي عزت الذي تجاوز السبعين الآن ، لكنه لا يزال صاحب نفوذ قوي ، بل أقوي مما كان قبلا – فإذا بي أنقل إلي موقع إعلامي أكبر كثيراً مما كنت ، بل مما كنت أحلم ، أما كيف فأنا لا أكاد أصدق أن تتم المسألة هكذا بين يوم وليلة ، التهاني لا تنقطع ، وباقات الزهور تغمر مكتبي الجديد الفاخر ، وسكرتيرتي الجميلة غادة ذات ذكاء وخبرة ، فهي تطلعني أولا بأول علي كل شئ ، أحس تجاهها بشئ من الامتنان ، لأنها تنقل إليّ الخبرة من غير أن يبدو عليها هذا...

رائعة يا غادة !

أتذكر الآن أن التعامل مع المايسترو كان يزعجني أحيانا ، لأنني بطبيعتي أكره الزيف والنفاق والإيذاء ، وهو لم يكن يكفّ عن كل هذا ، حتي مقالاته ورواياته : لديّ منها أعداد من المسودات كلها أخطاء تعبيرية فاحشة ، (أستطيع عند الضرورة أن أفضحه بها ، لكنني لن أفعل إلا إذا تصرف معي بحماقة ..) .

سأحاول ، علي كل حال ، أن أجعله يرفع يده عن صديقي الصحفي الصعيدي الطيب عارف أبو العيون ، فإنه دبّر له مؤامرة تقول إنه (يتربحّ) من وظيفته كصحفي ، وأنه يمارس ضغطا علي بعض الشخصيات العامة لكي تدفع له مقابل سكوته عما يعرفه عنها من فضائح

اذن فإن (عارف) يتربح من وظيفته ، و(البيه) ؟

ألا يتربحّ ، وهذه العقربة سعاد ، التي تتقلب بين الرجال كأنهم مجرد بلوزات ترتدي الواحدة اليوم لتخلعها غدا ؟ ألا تتربح ؟

كنت أفكر في الفارق بين الأحكام التي تطلق علي الرجل ، وتلك التي تطلق علي المرأة ، فإن

المجتمع عندنا يحكم علي خطأ المرأة كأنه جريمة لا تغتفر ، بينما ينظر إلي الشئ نفسه من الرجل علي أساس أنه من مظاهر (البطولة) والانتصار ، فلماذا ؟

كنت مستغرقة في إعداد مادة حول التفرقة العنصرية بين الرجل والمرأة ، عندما رن جرس التليفون فجأة ، بعد لحظات من التوقف ، رفعت السماعة لأفاجأ بأنها هيَ : سعاد ، التي انهالت عليّ بكلمات التهنئة والمديح وبأنها كانت تعرف من البداية أنني سوف (أصل) وبأنني موهوبة و.. و.. وأنا أتقبل كل هذا ببرود شديد ، ثم غيّرت بعد ذلك من اللهجة ، وانتقلت إلي إيقاع النعومة الثعبانية وأصبحت أنا عندها (توتي) ثم (توتيّ فروتيّ) وأيضا حبوّبتي وجمّولتي وكل صيغ الفعّولتي التي تجيد صياغتها. قاطعتها بلهجة جافة : خير يا مدام سعاد ؟

فكان أن تأسفت لما بدر منها ، وأنها راغبة في أن تصلح من خطئها ، وتود لو تستطيع أن تزورني الآن علي اعتبار أن الساعة لم تتجاوز التاسعة

مساء ، لكني اعتذرت بطريقة أكثر جفافا ، متعللة بأن لدى أعمالا لابد من إنجازها ...

عدت إلي أوراقي وأنا سعيدة بأن عاملتها علي هذا النحو واضح الجفاف ، ورنّ جرس الباب هذه المرة ، فاندهشت أن حارس العمارة يصعد إليّ في هذا التوقيت ، دون أن يستعمل الـ (الانتركم) فماذا يريد ؟

هكذا اندفعت بغير تروّ لأفتح الباب : كان الواقف أمامي آخر إنسان توقعت أن يكون : المايسترو

باقة ورود صغيرة أنيقة في يده ، وابتسامة باهتة – ابتسامته الباهتة الأزلية – علي شفتيه ، وتمتمة يسيرة منه تقول : ممكن أدخل ؟

ألجمتني المفاجأة ، ولم أعرف ماذا أفعل ؟

هل أغلق في وجهه الباب ؟

هل أدعوه للدخول ؟

هل ؟

وفي وسط الاضطراب الذي تملكني وجدتني أشير إليه بأن يدخل ، وقف في قلب الصالة بثبات ، وبدا كأنه صاحب البيت وأنا الغريبة ، رسم علي

وجهه ابتسامته الباردة المعتادة وأشار بيده في الهواء ، وطرقع بإصبعيه كأنه يريد أن يقول لي : أليست مفاجأة لم تتوقيعها ؟ ألست طيبًا ودودا إذ آتي إليك بعد القطيعة لأكون أنا البادئ بالصلح ؟

وكان مستغرقا في تأملي ، بنظراته الثاقبة عندما وجدتني أستعيد سيطرتي على نفسي ، وأعاتب ذاتي لأن هذا (المايسترو) الرهيب لاح لي الآن وكأنه ممثل مبتدئ رديء ثقيل الظل يخلو من الذكاء .

تركته يتكلم طويلا عن هذا الشعور النبيل بل الأصيل بل الطويل (أضفت في داخلي وأنا أرمقه بلا مبالاة : بل الهبيل ، بل الرذيل ، بل الـ ...)

قاطعته بكلمة واحدة :

- ثم ماذا ؟

قلتها بثبات اندهشت له ، استمعت بفتور الي ما قاله عن (الأرملة الطروب) وكيف ان المسألة كانت مجرد اهتمام صحفي لا أكثر ، وأنها لا تستحق مني أدني انتباه ، وأن كل صلة بها أو بغيرها قد قطعت .

تركته يثرثر طويلا ، قبل أن أستوقفه وقد استجمعت كل رباطة جأشي :

- كفاية ....

آن أن تستمع لي الآن ..

دعك مَن الـ (شيرى) والـ (ماشير) ، وكفّ عن همساتك الناعمة ، ونظراتك الحالمة ، وتنهداتك التي لا تنطلي إلا علي المراهقات

دعك من قصصك المصنعة ، ومن أساليبك الرديئة ، واعرف – أولا- أن كل شئ انتهي ، وأنني نادمة علي أن شيئا ما جمع بيننا في يوم من الأيام .

خرج عن اتزانه لحظة من الزمن ، أراد فيها أن يذكرني بأن له عليّ حقوقا ، علي اعتبار أن صلات كثيرة جمعت بيننا ، لم أضيّع وقتا وانفجرت فيه متسائلة عن هذه التقاليد التي تبيح للرجل أن يتملك المرأة اذا ما استكانت له ، بينما لا تملك هي أدني سلطة علي الرجل الذي – فيما يقول – تعلقّ بها !

كانت باقة الزهور موضوعة علي المنضدة الدائرية الانيقة التي تتوسط (الصالة) أشرت

إلـيه أن يلـتقطها ، تـردد لحظـة لكـن صـوتك الحـازم دفعـه إلـي أن يحمل الباقة وهو في غاية الاضطراب ...

لـم تعـودي تسيطرين علي أفكارك ، كانـت أحاسيسك – وليس عقلك – الذي يملي عليك ما تقولين ، أمـا هـو فأصبح أمامك مثل طفل حائر لا يملـك إرادة ، فـتحت الـباب وأشـرت إلـيه أن ينصـرف ولا يعـود إبدا

أبدا ......

حـرك يديـه فـي دهـشة ، وتلمّـس درجـات الـسلم الـذي راح يهـبط علـيه وهـو فـي حالـة اضـطراب كلـي ، ظلـت واقفـة ، دون أن تبالـي بأن بابا فتح ، (لا تعرفين هل كان هذا صدفة أم لا) ؟

لتختمي المشهد بهذا التصـرف الانفعالي ، الآتـي من عالم الفلكلور الكامن في اللاوعي : هرولت إلـي الـداخل ، لـم تجـدي مـن أوعـية فخاريـة لتكسريها وراءه إلا الفـازة الجمـيلة التـي جئـت بهـا مـن آخـر رحلـة لـك إلـي ادفـو والأقـصر وأسـوان ، أنـت تعتـزين بهـا كثيـرا فمـا الـذي

جعلك تشدين علي أسنانك ، وتحملينها إلي أعلي بملء ذراعيك ، ثم : تراك : لترتطم بأسفل السلم ، محدثة فرقعة هائلة ، القطع الصغيرة تنتشر في كل مكان ، هو يولي الأدبار ، مزيد من الأبواب تفتح عن أناس يطلون بفضول لمعرفة ما يجري ، لكنك لا تبالين .

تتأملين الموقف للحظة ثم تغلقين وراءك الباب ، كم من الوقت مضي وأنت جالسة علي الفوتيه الهزاز الذي في الشرفة ، تستردين وعيك ، وتتنفسين ملء رئتيك .. تتلمسين بأصابعك ملامح وجهك كأنك تشعرين بأنك أسقطت عنك القناع ، ليس عنك وحدك ، بل عنهم جميعا ، علي رأسهم هذا المايسترو المخادع ، والقوّادة الدميمة سعاد

ما الذي جعلك تتذكرين الآن " الكوميديا الإلهية " من جديد ، ها أنت طويت الجحيم ...
عبرت المطهر والأعراف ...
فماذا بعد ؟ هذه روائح الجنة
تهب عليك ، فيها سكينة وطمأنينة وصفاء...

الآن – والآن فقط – أقول لا للفناء أقول : نعم
، للحياة ... فقد عادت إليّ شمس يومي ، بعد أن
غابت عني بين المراوغة والغدر ، الآن فقط :
سقطت
كل
الأقنعة ....

(تمت)

صدر للمؤلف من قبل :

شعر :

أوراق من كتاب العشق	الإسكندرية ٢٠٠٣
حوار عبر الأبعاد	الإسكندرية ٢٠٠٣
من مقام الوجد	الإسكندرية ٢٠٠٥
في موكب الأعراف	الإسكندرية ٢٠٠٦

روايات :

السقوط في دوائر الانتظار	الإسكندرية ٢٠٠٣
لا	الإسكندرية ٢٠٠٤

الكاتبة حاصلة على ليسانس
الفلسفة لعام ٨١ / ٨٢ من
جامعة الإسكندرية

رقم الإيداع
٢٤٦٧٠ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-524561-3